تاريخ غرناطة وما يليها
المطلوبة [illegible]
في الجغرافية

١١٦٤

٧٢٨٥

وقف [illegible]
١٣١٦

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه

الحمد لله الذي جعل الحمد فاتحة الكتاب واول كلام الخلق يوم الحساب وآخر
دعوى اهل الثواب وصلى الله على سيدنا محمد المختار من لب اللباب وارضى
عن اله وصحبه واكرم بهم من آل واصحاب وحد الله ايام هذه الوزارة
السنية الخيرية ما تكررت السنون والاحقاب وبعد فانه لما
كان من شيم سيدنا الوزير السعيد الميمون الموفق السديد المبارك
الحميد الاعظم الاكرم الانبه الافخم الاسعد الاحظم الفارس البطل الشجاع
الاحمى الهمام الطاهر الاسمى ابو علي بن سيدنا الوزير الكبير الشهير
الجليل قدره الجليل ابو محمد عبد الله بن علي بن سعيد اليابانى الذي سار
مسير الشمس ذكره وعلا في الافاق والاسماع ثناؤه الجليل وشكره
وابتهجت ابصار ذوي البصائر الى الوقت السعيد الذي تجلى فيه بدره
لتعرف تواريخ الدول واخبار العصور الاول اردت ان اطالع — (في الهامش: من الدهور)
وزارته السنية وسياسته اليابانية الحفصية اسعد الله اعصارها
وكثر اعوانها وانصارها بكتاب مختصر يشتمل على ذكر من اسس مدينة
فاس كلاها الله تعالى من الادارسة الحسنيين وبنا جامع القرويين
والاندلسيين يكون تذكرة لمن تقدم له في ذلك سلوك وتبصرة لمن
اقيم في خدمة الوزرآء والملوك بعد ان استخرت الله تعالى في ذكر
فالهمه الي وسهله تبارك وتعالى علي كل ذلك بتيسير الله تعالى
وبركة هذه الوزارة الكريمة التي سرت الرفاق في الافاق بمناقبها
العظيمة واسنها اعزها الله تعالى للوزارة التي انجبرت لها العناية
الربانية صادق موعودها واطلعت اهلة السعادة في اسعد بروج
سعودها وعلت بايدي عليها فصار كل ايام سنيها سنا وشهره
كفيها والقت وزارته السعيدة بيده الكريمة مقاليدها ورفعت اليه
احاديثها الحسنة وصححت اسانيدها وجرت السعادة اذيالها واجرت
في ميدان الافراح خيول الاقتراح فمدت مداهافيه ومجالها وابدت
عليه غررها وحجولها حين اجالها فانالها من مكارم الاخلاق ولا لها
فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها وكيف لا وقد اشتمل اعزه الله
على الفضل العظيم والحسب الصميم وحاز من الفضائل اشرف المناصب
ومن النسب العريق ما لاح به قمرا منيرا فائقا افق المناصب وكل كان
النسـ

النسب العريق في طي هذه الوزارة الميمونة من الطائف الله الخفية وصنايعه الخفية
ما ظهرت اسراره وبهرت انواره وعلم العباد ان عناية الله بهم غير
مقطوعة وايادي يهم لديه غير ممنوعة واعطاه الله تعالى من الحلم والنباهة
والمهابة والشجاعة والحنان ما سارت به تضرب الامثال وتسير بحديثه
الحسن الصحيح السيارة والركبان ولا يزال اعزه الله من الصفات العزيزة
الذكر الدالة على علو الهمة وشرف القدر ما يكاثر عدد القطر ولا يدخل
تحت العد والحصر

لا همة لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى اجل من الدهر

والله تعالى يعلي مقداره ويكتب في الصالحة آثاره ولكل ذي نجوى وسيلة
يقدمها بين يدي نجواه وخدمة يصرف بها عن الاختيار دعواه فقدمت
بين يدي نجوى هذه الخدمة بهذا الكتاب واعددته وسيلة نافعة ان شاء
الله لحصول الطلاب والله يجعل موقع ذلك من هذه الوزارة السعيدة
الموقع الذي تجنى فايدته وتحمد ان شاء الله عاقبته ويحتوى هذا المختصر
على ما ابتغى والله يعصم من الزيغ والميل الباب الاول
في ذكر من اسسها من الادارسة الحسنيين وما جا من الثناء عليها
وعلى سكانها من العلما المرضيين الباب الثاني في ذكر من ادارها
بالاسوار وزاد فيها الزيادات وذكر جامعيها العتيقين وما انتهت
اليه من الدور والارحي والحمامات

الباب الاول

في ذكر من اسسها من الادارسة الحسنيين وما جا من الثنا عليها وعلى سكانها
من العلما المرضيين هذا الباب يستدعي الكلام على فضل الاقليم الذي
هي فيه وحد اصقاعه وحكم ارضه واول من افتتحه وسبب قدوم ولي الله ادريس
بن رسول الله ادريس اليه وذكر عقبه الذين اسسوا فاسا واستولوا عليها الى
غير ذلك مما يتعلق به من التنبيه عليه والتذكير بما انضاف من الاخبار اليه
اما فضله فقد روي عن سفيان بن عيينة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان بالمغرب بابا للتوبة مسيرته اربعون خريفا لا يغلقه الله تعالى حتى تطلع
الشمس من مغربها نقله ابن الرقيق وغيره وفي المصنفات الصحاح
من رواية سعد بن ابي وقاص وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة واهل المغرب هم
اهل المغرب الذي هو ضد المشرق على احد التاويلات وحقيقة المغرب
هو المكان الواقع في شق المغرب قال احد الشعراء

[illegible]

المغرب شيء مليح ولي دليل عليه
البدر يرقب منه والشمس تجري اليه

وحكى ابن جلجل في طبقات الاطباء ان ملك اليونانيين كتب الى عامله بارض بابل ان يبعث بقراط الحكيم بتبجيل وتكريم وامره ان يدفع اليه جملة من قناطير الذهب فينقله من الارض التي بها مقامه الى بلد اليونانيين فابى بقراط عن ذلك وامتنع وما ذاك الا لفضل اقليمه على غيره وارض بابل من الاقليم الرابع الذي فاس منه وحكى العرنسي في كتاب المغرب له عن الجرجاني وزير الظاهر لاعزاز دين الله احد ملوك العبيديين ان الظاهر قال لوزيره اني اريد ان اسمع كلام المغاربة فقال له هنا شيخ يعرف بابي مسلم الموفق فقال له استدعه لكلامه فجلس الظاهر خلف حجاب واحضر وزير الدولة ووجه عن الموفق فلما وصل سلم وقعد وتكلم معه باشياء اضحكه بها الى ان قال له الوزير بلغنا ان الدنيا شبهت بطائر فالمشرق راسه واليمن جناحه الواحد والشام جناحه الاخر والمغرب ذنبه فقال له ابو مسلم صدقوا والطير طاوس فضحك الظاهر وقال عشنه وانصرف واول بلاد المغرب على ما حكاه صاحب جغرافيا جبال برقة وجبال اوثان في المشرق وهذه الجبال آخر عمل مصر واول عمل القيروان وينقسم المغرب على ثلاثة اصقاع الصقع الاول هو موضع افريقية من جبال برقة واوثان الى جبال تغوست الصقع الثاني المغرب الاوسط واوله تاهرت الى سبتة الى جبال درن الصقع الثالث السوس الاقصى وحده من المغرب البحر الاعظم من ماسة الى صحراء المرابطين وهذا الاقليم الرابع بعد الاوسط من الاقاليم السبعة التي رسمها حكماء الهند وهو اعدلها وفيه ارض بابل وجزيرة العرب وبقية بلاد البربر في اقصى المغرب وبعض صقور جزيرة الاندلس كاشبيلية وقرطبة وغرناطة والمرية ومرسية ودفعة مراد فلا عند الله اعتدلت ابدان اهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبش وغلظ الترك وجفاء اهل الجبال ودمامة اهل الصين فكما اعتدلوا في الخلقة لطفوا في الفطنة والذكاء والعلم ذكر معنى ذلك صاحب المدهش وغيره وهذا الاقليم عند الحكماء كريم البقعة طيب التربة مخصب الفاعة كثير العيون والانهار العذاب قليل الهوام ذوات السموم ومعتدل الهواء في الفصول الاربعة على قدر متقارب من الاعتدال تتصل فوائده وفواكهه في كل الازمنة

واما حكم

واما حكم ارضه فقال ابو الحسن بن القابسي في شرح موطا مالك رحمه الله في كتاب الجهاد اختلف الناس في ارض المغرب هل افتتحت عنوة او صلحا او مختلطة على ثلاثة اقوال الاول الذي يظهر من رواية ابن القاسم عن مالك انها افتتحت عنوة لانه جعل في المعادن النظر للامام ولو صح ذلك لم يجز لاحد بيع شيء منها كارض مصر وطنجة لانهما افتتحتا بالسيف الثاني قيل صلحا صالحوا عليها اهلها فان كان كذلك جاز بيع بعضهم من بعض الثالث انها مختلطة هرب بعضهم من بعض فتركوها فمن بقي بيده شيء كان له وهو الصحيح والله اعلم وقال الراوي في كتاب الاحوال له بعد بسط كلام في ذلك ان الذي يوجبه النظر فيها ان تجري على ما تواترت عليه القرون الماضية في امرها وتقر بايدي مالكيها الا ما تواترت فيه الاخبار انه اغتصب او جلى عنه اهله وقال الداودي الحافظ ان ارض المغرب اسلم عليها اهلها ويحكى ان احد عمال المنصور بن ابي عامر حين تغلب على ارض فاس قال لهم اخبروني عن ارضكم اصلح هي ام عنوة فقالوا الجواب عندنا حتى ياتي الشيخ يعنون ابا جيدة من احد اليزغتني فجاء ابو جيدة فساله فقال ليست بصلح ولا عنوة انما اسلم عليها اهلها فقال لهم خلصكم الرجل وابو جيدة هو المدفون بخارج باب بني مسافر احد ابواب فاس والدعاء عند قبره مستجاب وله نفع الله به كرامات من اراد الوقوف عليها فليطالع كتاب المستفاد في ذكر الصالحين من فاس والعباد والذي الفه الشيخ الزاوية ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم [illegible] المعروف بالكتاني واما سبب نزول البربر في ارض المغرب من ارض فلسطين من الشام فان ملكها جالوت لما قتله داود عليه السلام جاءت البربر الى المغرب فتفرقت في تلك البلاد من موضع القيروان الى ساحل البحر الاندلسي وكانت هذه البلاد قبل البربر للروم فجاءت الروم امامهم الى صقلية وهي جزيرة عظيمة في البحر تحاذي بلاد افريقية ثم رجع الافارقة من الروم الى مدائنهم على صلح من البربر اذ كرهت البربر نزول المدائن فنزلوا الجبال والرمال والوهاد لكونهم اصحاب ابل وغنم

وبقر وسكان بيوت أدم وشعر فعادت المدن رومية والجبال والصحاري بربرية
وهم يعبدون على أديان مختلفة ثم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وخلافة الخلفاء
الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وصدر دولة بني أمية ولاية
يزيد بن معاوية منهم عقبة بن نافع الفهري على بلاد المغرب في سنة اثنين وستين
من الهجرة واستفتح بعضه إلى أن بلغ البحر الأعظم حيث ماسة وادخل فيه
قوائم فرسه ثم جعل يقول وعليكم السلام فقيل له على من تسلم يا ولي الله
فقال لهم إن قوم عليه السلام سلموا علي فسلمت عليهم ولولا
البحر ما يكلم إياهم وأسلم على يديه إذ ذاك بعض من بالمغرب وحين رجع
منه ارتد بعض من أسلم ثم ولي الوليد بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم موسى
ابن نصير على المغرب أيضا في سنة اثنين وتسعين وسار فيه حتى بلغ
طنجة وسبتة وجاز لبر الأندلس واستفتحه مع مولاه طارق بن زياد
وأسلم على يديه أيضا بعض من المغرب وحين رجع عنه ارتد أيضا بعض
من أسلم إلى أن أراد الله ظهور الإسلام في سائر أقطار المغرب حتى لم
يبق منه موضع إلا وعُبد الله فيه بسبب قدوم ولي الله
وابن رسول الله إدريس بن عبد الله بن حسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه كذا استفيد من كلام البكري وغيره وكان
سبب قدوم ولي الله الصالح إدريس من المشرق إلى المغرب ما حكاه محمد بن
جرير الطبري وغيره أن إسحاق بن عيسى الأعمى بالمدينة تنزع عن الخليفة
موسى الهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور واستخلف عليها عمر بن عبد
العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فظهر منه مخالفة في أحكامه
فغير ذلك عليه الحسين بن علي بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله
عنه ورفض الناس إمرته واستدعوا حسينا للبيعة فجلس على المنبر وعليه
عمامة بيضاء وصار الناس يأتونه ويبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه عليه
السلام وجاء خالد البربري في مائتين من الجند فقتل الحسين فقام إليه
ابنا عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهما يحيى
وإدريس فضربه يحيى على أنف البيضة فقطعها وقطع أنفه فشرقت عيناه
بالدم فلم يبصر فنزل وجعل يذب بسيفه عن نفسه وهو لا يبصر واستدار
له إدريس من خلفه فضربه وصرعه وعلواه بأسيافهما حتى قتلاه ثم
قاتل بالمدينة شيعة بني العباس وجاء مبارك التركي فقاتلهم وأقام
حسين بالمدينة أحد عشر يوما وأحدق به بالمسجد فغدروه ولحق بمكة

لعله عزله

وكان

وكان وفد للحج تلك السنة محمد بن سليمان بن علي عم محمد بن عبد الله بن العباس
والعباس بن محمد بن علي وموسى بن عيسى في أربعة آلاف فارس وعلى المقدم
سليمان بن أبي جعفر المنصور فالتقوا في ذي طوى وقد ورد كتاب الهادي بتوليته
محمد بن سليمان في الحرب فوجد محمد أبا كامل مولى إسماعيل بن علي فلما رأى القوم صار
معهم فظفر به فقتله ثم قاتل محمد بن سليمان الحسيني فهزمه وقتله وقتل أكثر من
كان معه وأقام حينئذ ستة أيام ولم يواروا حتى أكلت لحومهم الطير والسباع وكان
ذلك بفخ وهو موضع فيه مقتلة على مسيرة ثلاثة أميال من مكة شرفها الله
وكانت هذه الوقيعة في يوم السبت وصادفت يوم التروية الثامن لذي
الحجة من سنة تسع وستين ومائة وحضرت بعد الوفاة محمد بن سليمان
قاتل حسين فجعل جلساؤه يلقنونه الشهادة وهو يقول

ألا ليت أمي لم تلدني ولم أكن ... لقيت بفخ أحسينا ولا حسنا

وفر بعد هذه الوقيعة أفلت إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه على ما حكاه المطرفي وأنشد في ذلك بعض شعراء الوقت

فلأبكين على الحسين بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذي ... تركوه ليس بذي كفن
تركوا بفخ غدوة ... في غير منزلة الوطن
كانوا كراما قتلوا ... لا طائشين ولا جبن
غسلوا المذلة عنهم ... غسل الثياب من الدرن
هُدِيَ العباد بجدهم ... فلهم على الناس المنن

وصار إدريس رضي الله عنه مع مولاه راشد إلى مصر وعلى بريدها
واضح مولى صالح بن المنصور فحمله على البريد إلى المغرب فوقع بحوزة
بلاد طنجة ثم إلى بلد وليلي قاعدة زرهون واستجابت له قبائل البربر
وعلا أمره وشاع خبره وهذه البلدة قديمة البناء يذكر أنها من بنيان
القبط وهي المعروفة الآن بقصر فرعون من أرض تعلو الأوربيين
وهي متوسطة بين العمارات خصبة كثيرة المياه والغروس والزيتون
وكان لها سور عظيم قد بقي بعضه وفيه عبرة للمعتبرين ولما
وصل إدريس رضي الله عنه إلى بلد وليلي نزل على صاحبها إسحاق
ابن محمد بن عبد الحميد الأوربي فأقبل عليه وأكرمه وبالغ في بره
وكان نزول إدريس رضي الله عنه بوليلي في أول شهر ربيع الأول
سنة اثنين وسبعين ومائة فأقام عنده والناس يغدون عليه إلى

ان دخل شهر رمضان السنة فبايعه جميع قبائل البربر ولما
تمت له البيعة وتمكن سلطانه وعلا شانه اتخذ جيشا عظيما من قبائل
البربر وخرج بهم الى بلاد تامسنا ففتح شالة وسائر تلك الحصون
وسار الى تادلا وافتتح حصونها الى ان بلغ ماسة وكان اكثر اهل هذه
البلاد على دين النصرانية واليهودية والمجوسية والاسلام بها قليل فاسلم
جميعهم على يديه حتى لم يبق بالمغرب موضع يعبد غير الله فيه وقد فتح الصحابة
ومن بعدهم جملة من البلاد ومهد الله به دولة الاسلام دولة الفرس في
العراق وخراسان ودولة الروم بالشام ودولة القبط بمصر واوايل
الهند واقصى الاندلس وبلاد الترك وذلك مما اخبر الرسول عليه السلام
ان يكون فانه جاء في الصحيح انه قال زويت لي الارض فاريت مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها ولما نزل ادريس رضي الله عنه
خارج تلمسان اتاه اميرها محمد بن خزر المغراوي الخزري وبايعه ومن
هنالك من القبايل ودخل تلمسان واستقلت له امارة المغرب باسره
اتصل ذلك بالرشيد وخاف واغتم لذلك وخشي ان يتوجه لافريقية فيصل
اليه لما علم من فضله وكمال محبة الناس في آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبعث اليه الرشيد من يقتله واختار لذلك سليمان بن جرير البجلي فخرج اليه
من بغداد حتى وصل المغرب وقدم على ادريس بمدينة وليلي فسلم عليه
سليمان وسال ادريس عن اسمه ونسبه ومن اي البلاد قدم وما
سبب قدومه الى المغرب فذكر له انه من بعض موالي ابيه وانه اتصل به
خبره فاتاه برسم خدمته لا طمعة وولاية لاهل البيت اذ لا يعرف له
بهم احد ولا يقاس بهم سواهم فانس به ادريس وسكن اليه فعله ويشكو
به فكان ادريس لا يقعد ولا ياكل ولا يشرب الا معه ولم يزل يترقب
الفرصة ويعمل الحيلة في قتله فلم يجد الى ذلك سبيلا لملازمة مولاه راشد
لانه لا يزايله ولا يفارقه الى ان غاب راشد ذات يوم في بعض شؤونه
فدخل اليه فوجده وحده فقال له يا سيدي جعلت فداءك اني
جيت من المشرق بقارورة طيب لا تطيب بها ثم اني رايت ان الامام
اولى بها مني فخذها لتتطيب بها فقد آثرتك بها علي ثم اخرجها
من وعائه ووضعها بين يدي ادريس فاخذ ادريس القارورة
وفتحها وشمها فلما راى سليمان فعل ذلك وتحصل له مراده منه وتمت
حيلته جعل يتسلل من المجلس وخرج كانه يريد قضاء حاجة الانسان فقام
الى منزله

الى منزله وركب فرسا له من سباق الخيل كان قد اعده لذلك وخرج من ليلته
يطلب النجاة وكانت القارورة مسمومة فحين استنشق ادريس
الطيب الذي بها صعد السم الى خياشيمه وانتهى الى دماغه فغشي عليه
وسقط مغشيا رحمه الله ورضي عنه في منسلخ شهر ربيع الاخر سنة خمس
وسبعين ومائة فكانت ايام دولته سنتين وثمانية اشهر على ما حكاه
الكثير من ممالكه قال شاعرهم فيما قال الطغري

اتظن يا ادريس انك مفلت | كيد الخليفة ان يقيك فرار
او ان تحل ببلدة لا يهتدى | فيها اليك قرار
ان السيوف اذا انتضاها سخطه | طالت وتقصر دونها الاعمار
ملك كأن الموت يتبع امره | حتى يقال تطيعه الاقدار

ودفن ادريس رضي الله عنه بخارج باب وليلي ولم يزل الناس يعتنون بزيارة
قبره ويدعون الى الله في الحوائج فيستجاب لهم وظهر جسده بكفنه في
سنة ثماني عشرة وسبعمائة وازدحم الناس عليه من سائر اقطار المغرب
حتى خيفت الفتنة بسبب ذلك فبعث مولانا امير المومنين ابو سعيد
ابن يعقوب بن عبد الحق تقبل الله اعماله جيشا لتفريقهم عنه وتحسيم
الفتن كما وقف عليه من امر سلطاني يقتضي ذلك ولما توفي الامام
ادريس رضي الله عنه ترك جارية له مولدة من بلاد البربر اسمها كنزة حاملا
في السابع من اشهر حملها وحين دنا وضعها ولدت ولدا ذكرا اشبه الناس بابيه
ادريس وذلك في رجب سنة خمس وسبعين ومائة فسمي باسم ابيه وقام
راشد بامره وامر البربر وكفله الى ان فطم وشب وادبه احسن ادب واقراه
القران فحفظه وله من السن ثمانية اعوام وعلمه السنة والفقه والشعر
وامثال العرب وحكمها وسير الملوك وسياستها ودربه ركوب الخيل
والرمي بالسهام ومكايد الحروب ولما كمل له من السن احدى عشرة
سنة اخذ له مولاه راشد البيعة من سائر قبائل البربر فبويع له بجامع
مدينة وليلي في يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الاول سنة ست وثمانين ومائة
فقعد بالذكر من هذا ان مدة بقية حمل امه به بعد وفاة والده ومدة كفالة راشد
له عشر سنين وعشرة اشهر وحين اخذت له البيعة صعد المنبر يخطب
الناس في ذلك اليوم فكان مما قال الحمد لله احمده واستغفره واستعين
به واتوكل عليه واعوذ بالله من شر نفسي ومن شر ذي شر واشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ارسله الى الثقلين بشيرا ونذيرا

وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله وعلى اله الذين اذهب الله عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا ايها الناس انا قد ولينا هذا الامر الذي يضاعف
للمحسن فيه الاجر وللمسيء الوزر ونحن والحمد لله على طريق قصد فلا تمدوا
الاعناق الى غيرنا فان الذي تطلبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا
ثم دعا الناس الى بيعته وحضهم على التمسك بطاعة الله وطاعته فعجب
الناس من فصاحته وبيانه ورجاحة عقله وبلاغته ثم انصرف رجع الناس
الى بيعته وازدحموا عليه يقبلون يديه فبايعه كافة قبائل المغرب من زناتة
واوربة وصنهاجة وغمارة وسائر البربر وتمت له البيعة واستعملت
الناس اليه وتوكدها الحمل كبير سلطانه وقويت جنوده واشياعه وعظمت
جيوشه واتباعه ومما يذكر عنه انه قال في حال قتاله لمن عانده

اليس ابونا هاشم شد ازره ... واوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ... ولا نشتكي مما يؤول الى النكب
وكنا اهل الحفاظ والنهى ... اذا طار ارواح الكماة من الرعب

وقصد الناس نحو الامام ادريس بن ادريس من كل مكان ووفدوا
عليه من سائر البلدان وكان ممن وفد عليه نحو الخمسماية فارس من
افريقية والاندلس من القيسية والازد والخزرج وبني يحصب
والصدف وغيرهم فسر ادريس رضي الله عنه بوفادتهم واجزل صلاتهم
وقربهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر فاعتز بهم
لانه كان فريدا بينهم ليس معه عربي ولما راى ادريس
رضي الله عنه ان الامر قد استقل له وعظم ملكه وكثر حشمه وضاقت
بهم مدينة وليلى عزم على الانتقال منها واراد ان يبني مدينة
لنفسه يسكنها هو وخاصته وجنده ووجوه اهل دولته فركب
بعد الاستخارة مع خاصة من قومه وجال جملة من النواحي الى ان بلغ
جبل صالغ فعزم ان يبني به مدينة عظيمة فظهر له ان السوام تشكل
به زمن القيظ فانتقل لواد سبو وعزم ايضا ان يبني به مدينة فظهر
له ان الرعود تصل اليها زمن المطر ومازال يرتاد حيث يبني واستشار
وزيره عمير بن مصعب الازدي ليرتاد له موضعا للمدينة فسار عمير
في جماعة من قومه لينظر ما طلب فاخترق تلك النواحي الى ان نزل

على عين من ماء غزيرة مطردة في مروج نضرة فتوضا منها هو ومن كان
معه وصلى بهم صلاتها ثم دعا الله تعالى ان يسخر له عليه ما طلبه وان
يدله على موضع يرتضيه لعبادته فسميت العين بعين عمير الى الان
ثم انه ركب وتوجه نحو حصن اسرير ليطلب ما خرج اليه حتى وصل
الى العيون التي ينبعث منها نهر فاس فراى عيونا كثيرة تزيد على ستين
عينا وماؤها يطرد على بساط فسيح من الارض وحول العيون شعراء
من الكرمة والطخش والعرعار والكرنج وغير ذلك فدل ذلك على جودة ماء تلك
العيون فعاد وشرب من ماءها واستطابه وقال هذا ماء عذب وطعم معتدل
ومحل كثير المنفعة لاجل ما جاوره من الاشجار وبما راى من المزارع ثم سار
مع مسيل الوادي حتى وصل الى موضع مدينة فاس فنظر الى ما بين العدوتين
فراى غيضة ملتفة الاشجار مطردة بالعيون والانهار وفي مواضع منها خيام
من شعر يسكنها قبائل من زناتة يعرفون بزواغة وبني يرغش فرجع عمير الى
الامام ادريس رضي الله عنه واعلمه بما راى من الارض وما استحسنه من
كثرة مياهها وطيب تربتها ورطوبة هواها وصحتها واعتدالها
فاعجب الامام ادريس ما راى من ذلك وسال عن مالك الارض فقيل انهم
قوم من زواغة يعرفون ببني الخير فقال له الامام ادريس هذا فال حسن
وبعث اليهم واشترى منهم موضع المدينة بستة الاف درهم ودفع لهم الثمن
واشهد الاشهاد بينهم بذلك في رسم من انشاء كاتبه ابي الحسن عبد الله بن
مالك المالكي الانصاري الخزرجي وذلك في سنة احدى وتسعين ومائة
ثم ان الامام ادريس ضرب اخبيته وقبابه بالموضع المعروف بجراوة
من عدوة الاندلس ودور عليه جراوة من الخشب فسمي الموضع به
الى زماننا ثم انتقل بعد ذلك الى الموضع المعروف بالمغرمة من عدوة
القرويين حيث دار القيطون المتصلة بمسجد الشرفا ثم شرع في البنا
حسبما نذكر بعد بحول الله تعالى كذا ذكره ابن الاقيتق وغيره فصل في
هذه المدينة وشرفها ما تعلمه اهلها خلفهم عن سلفهم انه وجد في كتاب دراس
ابن اسمعيل المكنى بابي ميمونة بخط يده رحمه الله تعالى حدثني علي بن ابي مطر
بالاسكندرية قال حدثني محمد بن ابراهيم بن المواز عن عبد الرحمن بن القاسم
عن مالك بن انس عن محمد بن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تكون بالمغرب مدينة
تسمى بفاس اقوم اهل المغرب قبلة واكثرهم صلاة اهلها على السنة والجماعة

ومناهج الحق لا يزيغون متمسكين به لا يضرهم من خالفهم يرفع الله عنهم
ما يكرهون الى يوم القيامة وابن مطر هو ابو الحسن علي بن عبد الله بن
ابي مطر من ولد ابي موسى الاشعري وكان مجاب الدعوة توفي بالاسكندرية
سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة كذا اختصر عياض في مداركه ودراس رحمه
الله ورضي عنه ممن ادخل علم مالك رضي الله عنه بلاد المغرب فانه كان
الغالب عليه في التقديم مذهب الكوفيين الى ان دخل علي بن زياد والبهلول
ابن راشد وبعدهم اسد بن الفرات وغيرهم من الحافظين لمذهب مالك فاخذه
كثير من الناس فلم يزل يفشو الى ان جاء سحنون فغض حلق المجالس وانتشر
المذهب بعده في اصحابه فشاع في اقطار المغرب الى وقتنا هذا واما
اهل الاندلس فكان رايهم منذ افتتحت على راي الاوزاعي الى ان رحل الى مالك
زياد بن عبد الرحمن وقرعوس ابن العباس ومن بعدهم فجاءوا بعلم مالك وابانوا
للناس فضله واقتداء الايمة به فعرف حقه ودرس مذهبه الى ان اخذ امير
الاندلس اذ ذاك هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك بن مروان
الناس جميعا بالتزامهم مذهب مالك وصير القضاء والفتيا عليه وذلك في
عشرة السبعين ومائة في حياة مالك رحمه الله وشيخ المفتين حينئذ
صعصعة بن سلام امام الاوزاعية وراويته وقد لحق به من اصحاب مالك
خيرة فالتزم الناس هذا المذهب وحملوا بالسيف عن غيره جملة واحل
فيما تقدم من الرحالين والغرباء شيئا من مذهب الشافعي وابي حنيفة
واحمد وداود ولم يتمكنوا من نشره فمات علمهم على اختلاف ازمانهم
الا من تدين به في نفسه ممن لا يوثق بقوله على ذلك معنى الاندلسيين الى
وقتنا هذا وسمي دراس لكثرة درسه العلم اصله من مدينة فاس سمع
من شيوخها ومن افريقية من ابي بكر بن اللباد وغيره وبالاندلس من
شيوخها وله رحلة حج فيها وسمع من علي بن ابي مطر بالاسكندرية كتاب
ابن المواز وحدث به بالقيروان وسمع منه ابو محمد بن ابي زيد وابو
الحسن بن القابسي وغيرهما ودخل الاندلس مجاهدا وطالبا فنزل دار
بها في الثغر فسمع منه ابو الفرج عبدوس بن محمد من اهلها وخلف بن جعفر وغير
واحد وكان ابو ميمونة من الحفاظ المعدودين والايمة المبرزين من اهل الفضل
والدين حسن الاعانة لمذهب مالك رضي الله عنه توفي بفاس بلده سنة خمس
وخمسين وثلاثمائة وقبره بخارج باب الجيزيين منها معروف والدعاء
عنده مجاب وله بفاس مسجد يعرف به وقد جدده مولانا المتوكل ابو عنان
رحمه الله وجعل هناك رخامة منقوشة باسمه وتاريخ موته ونصبت عند

راس سنة اربع وخمسين وثلاثمائة واخبر ابن القطان ان رجلا من اهل المغرب
قال لي سنة سبع وخمسين وثلاثمائة سمعت بالمرصاد قراءة في السماء والارض
تبكيان فقلت ما هذا فقيل لي مات ابو ميمونة وكان كذلك وكثيرا ما كان
ينشد

غفلت وحادي الموت في اثري يحدو ... وان لم ارح يوما فلا بد ان اغدو
اريد الهوى قد ولى وكم ابلغ المنى ... وليس معي زاد وفي سفري بعد
انعم جسمي باللباس ولينه ... وليس لجسمي من قميص البلا بد
كاني به قد حل في برزخ البلا ... ومن فوقه ردم ومن تحته لحد
وقد ذهبت مني المحاسن وانمحت ... ولم يبق فوق العظم لحم ولا جلد
فكيف اذا ما النار يا رب قربت ... ونار لا يقوى لها الحجر الصلد
عسى غافر الزلات يغفر زلتي ... فقد يغفر المولى اذا اذنب العبد

نقل اكثر هذا الفصل من المدارك وغيره ومن اراد الوقوف على اكثر من ذلك فليطالع
كتاب المستفاد في ذكر الصالحين من فاس والعباد ولما عزم الامام
ادريس رضي الله عنه على بناء مدينة فاس بعد ان اختبر تربتها وهواها
ورياحها ومياهها وتحقق بعدها من الصحراء والبحار والجبال الشامخة والسباخ
العميقة وعلم ان ذلك مما يامن به سكانها رفع يديه الى السماء وقال اللهم اجعلها
دار علم وفقه يتلى فيها كتابك وتقام بها حدودك واجعل اهلها
متمسكين بالسنة والجماعة ما ابقيتها ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
ثم اخذ المعول بيده وابتدا بحفر الاساس واتبعه الفعلة في ذلك
فلم تزل دار علم وسنة وذكر ابن غالب في تاريخه ان الامام ادريس
رحمه الله حين عزم على بناء فاس واختطاطها مر به شيخ كبير من الرهبان
كان مترهبا في صومعة قريبة من تلك الجهات فوقف للامام ادريس رحمه الله
وسلم عليه وقال له ايها الامير ما تريد ان تصنع بين هذين الجبلين قال
اريد ان اختط بينهما مدينة لسكناي وسكنى ولدي من بعدي يعبد الله
تعالى فيها ويتلى فيها كتابه وتقام حدوده فقال له ايها الامير ان لك عندي
في ذلك بشرى قال وما هي ايها الراهب قال انه اخبرني راهب كان قبلي بهذا
الدير هلك منذ مائة سنة انه وجد في كتب علمه انه كان بهذا الموضع مدينة
تسمى ساف خربت منذ الف سنة وانه يجددها ويحيي اثرها ويقيم
دارها رجل من آل بيت النبوة يسمى ادريس ويكون لها شان عظيم
وقدر جسيم لا يزال دين الاسلام قائما فيها الى يوم القيامة فقال ادريس

الحمد لله وانا ادريس وانا من آل البيت النبوي وانا بانيها ان
شاء الله تعالى فكان ذلك مما قوى عزمه على بناءها ويدل على صحة
ذلك ان رجلا من اليهود احتفر اساسا الدار يبنيها بقنطرة عويلة
من المدينة المذكورة والموضع يومئذ معمر بالطخش والبلوط وغير ذلك
فوجد في الاساس قطعة رخام على صورة جارية منقوش على صدرها
بالخط المسند هذا موضع حمام عمر الف سنة ثم خرب فاقيم موضعه بيعة
للعبادة كما قال عمر بن ابي ربيعة

فقلت اشمس ام مصابيح بيعة   بدت لك خلف السجف ام انت حالم

واختلف في تسميتها فاسا فقيل ان الامام ادريس لما شرع في بنائها كان يعمل
فيها بيده مع الصناع والفعلة فصنع له بعض خدمه فاسا من ذهب
كان يمسكه بيده ويبدأ به الحفر ويخط به الاساسات للفعلة
فلما كثر ذكر الفاس على السنتهم في طول مدة البناء فكان الفعلة
يقولون هاتوا الفاس خذوا الفاس احفروا بالفاس فسميت
مدينة فاس لاجل ذلك قال صاحب الاستبصار وهذا والله اعلم لا
يصح لان ادريس رضي الله عنه لا يجهل ان استعمال الذهب حرم على الرجال
ويقال انه لما شرع في حفر اساسها من جهة القبلة وجد في الحفير
فاسا كبيرا طوله اربعة اشبار وسعته شبر وزنته ستون رطلا
من عمل الاوائل فسميت المدينة به واضيفت اليه تغل معناه المظفري
وقيل انه لما تمت بالبناء قيل للامام ادريس كيف تسميها قال اسميها
باسم المدينة التي كانت قبلها في موضعها الذي اخبرني الراهب انه كانت
هنا مدينة ازلية من بنيان الاوائل خربت قبل الاسلام بالف عام
وكان اسمها مدينة ساف ولكني اقلب اسمها الاول واسميها به
فقلب منه فاس فسميت به كذا نقله ابو الحسن بن عبد الله بن ابي زرع
في كتابه المسمى بالانيس وكان تاسيس مدينة فاس على ما ذكره
المؤرخون الذين عنوا بتاريخها وبحثوا عن امورها واحداثها على نحو
ما نذكره اما عدوة الاندلسيين فانها اسست في غرة
الخميس مهل شهر ربيع الاول سنة اثنين وتسعين ومائة اقام الامام
ادريس منها بالموضع المعروف بجزاوة حيث نزل باخبيته وقبابه وابتدأ
سورها

سورها من جهة القبلة وفتح هناك بابا سماه باب القبلة ثم مر بين الموضع
المعروف بالغوارة وموضع زيتون ابن عطية وفتح هناك بابا سماه بباب
المخفية كان يقابل باب الفرج من عدوة القرويين ثم مر بالسور الى الشيبوبة
وفتح هناك بابا سماه باب الشيبوبة كان يقابل باب الفصيل المعروف
الآن بباب النقبة من عدوة القرويين ثم مر بالسور الى راس جرف
الفرج وفتح هناك بابا سماه بباب ابي سفيان ثم مر بالسور على جزاوة
وفتح هناك بابا سماه بباب الكنيسة ويعرف الآن بباب الخوخة وبخارجه
كان يسكن المرضى لتكون روايحهم تحت الريح الغربية فانها المقابلة لها
ويكون تضررهم من الماء بعد خروجه من البلد ولا يصل منه ضرر لاهل المدينة
شيء ثم نقلوا من الموضع المذكور فكانوا بخارج باب الشريعة في زمن الجماعة
وكانوا يتصرفون بالماء الذي باعلى المدينة فرفع لمولانا امير المسلمين ابي   المسلمين
يوسف بن عبد الحق رحمه الله ان ذلك يضر بالناس فامر بانتقالهم للكهف
بظاهر برج الكوكب وهو الموضع الذي فيه سكناهم الآن ثم مر بالسور
الى ان وصل باب القبلة المذكورة وقد استدار بها السور ثم بنى جامعا
للخطبة بقرب رحبة البير ويعرف بجامع الاشياخ   واما
عدوة القرويين فانها اسست في مهل شهر ربيع الاول سنة
تسعين اقام الامام ادريس منها بالموضع المعروف بالمقرمدة
ويعرف الآن بدار القيطون ويقرب مسجد الشرفاء حيث سكن حفدة
ادريس رضي الله عنهم وابتدأ سورها من راس عين علون وفتح هناك
بابا سماه باب افريقية وبه يعرف الآن وجدده مولانا المستعين
وتسعه وذلك في شوال سنة ستين وسبعمائة وكان حد العين التي
هناك غيضة عظيمة يقطع بها عبد اسود اسمه علون فرفع ذلك
للامام ادريس فصلب باعلى شجرة هناك الى ان تقطعت اشلاؤه
فسميت العين باسمه ثم مر بالسور الى عين دردور الصعتر وفتح
هناك بابا سماه بباب العرس ومر بالسور الى اغلان وفتح هناك بابا
سماه باب الفصيل وهو الذي ذكرنا انه يعرف بباب النقبة ثم مر بالسور
مع ضفة الوادي وفتح هناك بابا سماه بباب الكنيسة وليست هي المعروفة

بذلك الان ثم مر بالسور لاعلى عقبة الجرف وفتح هنالك بابا سماه بباب
القلعة ثم مر بالسور حتى وصل به باب افريقية المذكور وقد استدار بها السور
السور ثم بنى جامعا للخطبة متصلا بجنوبه وهو المعروف الان بمسجد الشرفا
وكان الامام ادريس رضي الله عنه في انشا وتلك امر الناس ببنا الدور والغرس
ونادى فيهم ان كل من بنى موضعا واغترسه قبل تمام السور فهو له هبة
لله تعالى فيطهر من هذا والله اعلم انه بنا شيئا بعد تمام السور انما يكون
باستيجار الارض وهو سبب الجزا في بعض جهاتها ولما فرغ الامام
ادريس رضي الله عنه من بنا اسوار المدينة وجامع خطبتها انزل القبائل
الوافدين عليه من جزيرة الاندلس بالعدوة الشرقية منها فسميت بذلك عدوة
الاندلسيين وانزل الوافدين عليه من القيروان بالعدوة الغربية منها
فسميت بذلك عدوة القرويين ثم امرهم بزيادة البنا والغرس فبنا الناس
الدور والمساجد والحوانيت وغرسوا اجانب الوادي من صعده بجميع اسايس
الى قطبه من شمالا بانواع الاشجار وضروب الثمار وحرثت ساير
نواحيها بانواع الزراعات فمرت الارض بالفلاحة والحراثة وظهر صلاح ذلك
وانتفاع بغلاته في اقرب وقت فكثرت الخيرات وزادت العمارات وقصدها
الناس من جميع البلاد والجهات والاصقاع وسكنها الفقها والعلما والتجار
والصناع ولما كملت مدينة واستقامت رعيته وحضرت الجمعة
صعد المنبر فخطب الناس ثم رفع يديه في اخر خطبته وقال اللهم انك تعلم
انى ما اردت ببنا هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا سمعة ولا مكابرة
وانما اردت ان تعبد فيها ويتلى بها كتابك وتقام حدودك وشرايع دينك
وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيا اللهم وفق سكانها
وقطانها للخير واعنهم عليه واكفهم مؤنة اعدائهم وادر عليهم الارزاق
واغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق انك على كل شيء قدير فامن الناس على
دعائه فكثرت بالمدينة الخيرات وظهرت البركات واقام الامام ادريس رضي
الله عنه بها الى سنة سبع وتسعين ومائة فخرج الى غزو من بقي من
الكفار بنفيس وبلاد المصامدة ورجع الى مدينة فاس اقام بها الى شهر
المحرم سنة تسع وتسعين ومائة فخرج منها الى مدينة تلمسان لتكون الكلمة
واحدة في اعزاز الدين وظهوره فغلب عليها وافتتحها ونظر في احوالها
واصلح اسوارها وجامعها الذي بناه ابوه وصنع فيها منبرا وكتب
اسمه فيه كذا نقل ابن غالب وصاحب الانيس وقال الوراق
وفي سنة وخلف جامع تلمسان في سنة خمس وخمسين وخمسماية

فرأيت

فرأيت في راس منبرها الرخامي بقية منبر قديم قد سمر هنالك وعليه مكتوب
هذا ما امر به الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه في شهر محرم سنة تسع وتسعين ومائة
فخرج منها الى مدينة تلمسان ثم رجع الامام ادريس رضي الله عنه الى مدينة
فاس فلم يزل بها الى ان توفي رحمه الله تعالى في اول شهر ربيع الاول
سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وثمانية اشهر
والاستقر آخر كانت ايام كفالة راشد له وبقية حياته عشر سنين وعشرة
اشهر وايام امارته سبعا وعشرين سنة ويذكر انه دفن بمسجد الشرفا
بازا الحائط الشرقي منها وقد انشد بعض شعرا في قصيد طويل

في ذلك

مدينة ادريس بن ادريس التقى	بها قبره ثاو ومنبره مبني
فمازار آل الله وآل رسوله	فاحببت بهم اهلا واحببه تحني

وكان سبب وفاته على ما قاله البكري انه اكل عنبا فشرق بحبة منه فمات من
حينه رحمه الله تعالى وخلف من الولد على ما ذكره ابن حزم في جمهرته ثلاثة
عشر ذكرا ادريس واحمد وعبد الله ويحيى والحسن والحسين ومحمد وعبيد
الله وداود وعيسى وعمر وجعفر والقاسم وحمزة وقيل اكثر من
ذلك فولي بعده محمد وهو اكبرهم وما زال الاكثر حفدة الامام ادريس بن ادريس
فاطمي بمدينة فاس منذ اسست الى زماننا هذا محمولين على البر والاكرام
والمحاشاة والاحترام والرعي المستدام على مر الليالي والايام يشبه الناس
بتشبهاتهم في الصدقات ويتوسلون بهم في الشفاعات ويستسقون
باطفالهم في الاستسقاءات

او لو طهارة احساب اذا انتسبوا	ابدا المرور استهيا جاهلا فخروا
تواريثوا المجد عن ابائهم فلهم	فوق الثريا رتب من فوقها ظهروا
اذا تضوع نشر المجد عن عبق	فاعلم بانهم في خيمه ذكروا

وقد بلغ مولانا ابو الحسن رحمه الله في الاحسان بجميع الشرفاء القرباء منهم
والبعداء وبعث قاضي حضرته الاشهر وعالمه الاكبر ابا سالم ابراهيم
ابن ابي زيد عبد الرحمن بن ابي محمد رحمه الله تعالى لساير بلاده مميزا
لاعيانهم ومختبر الانسابهم حتى ثلج صدره بعموم نسبهم وحرر حسبهم
واقتفى مولانا المستعين رحمه الله بابيه المرحوم في برهم والانس
بقربهم فضمن جراياتهم وقرب مكانتهم وقضى حاجتهم واعلى منازلهم
وراعى وسائلهم واجرى لهم الارزاق السنية ويعمهم بالصلات الرسمية

واختارهم اقربهم نسبا واطهرهم اما وابا وانضرهم عودا واطولهم عمودا
واجودهم جودا واكرمهم جدودا واوفرهم [illegible] رتب عليهم وتنتهي اليهم ومن حل
له في امرهم صونا لكبير قدرهم وهو سيدنا الشريف الطرفين الزاكي الاصلين
والسامي الفخار والمحتد الكبير السودد والعريق النسب الشريف الحسب ذو
النفس الوضية والشيم الزكية والاخبار المرضية مزيد المحامد وجامع الفضائل
صدر المجلس حيث استوى احتفاله والمعظم في بساط الملك حيثما توجهوا اراؤه
وتسمع اقواله اخوه اية الشرف بيديه وحاز قصب السبق في كل حلبة
فاثبتها عن يديه الوفي طابت اصوله وطالت فروعه ولم يزل الى الفعل
الصالح نزوله ابو عبد الله محمد

فما مثله يخفى هو الشمس رفعة ... ونورا واشراقا وهل تجهل الشمس
انار به اماوكل جلاله ... وفاضت ببحر الجود انمله الخمس

ابنا سيدنا ووسيلتنا الى الله تعالى الشريف الطاهر الاركان المتين مبنيها
الايمان صوارم الهواجر ومتسربل ظلام الليل لتياحه وهو للمكرم
ماجد في المحامد الآثر والمناقب والمفاخر ابو عبد الله محمد

سمت بروق وصبت لم يدع امرا ... للمعير منتسبا الا تجاوزه
اذا رايته اربت العين فوقها ... فما تطيق جلالا ان تجاوزه

ابن عمران بن عبد الواحد بن احمد بن علي بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن علي بن
حمود بن يحيى بن ابراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى الجوطي بن القاسم بن
ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه لينظر في امورهم وكافة شؤونهم ويكون عليهم اخا وامره فيهم
امضى وليتفقدون بنظره انسابهم ويتعرفون بمعرفته احسابهم وليلا
يدخل فيهم من ليس منهم او يخرج خارج عنهم وينزههم عن المكاسب الدنية
ويمنعهم من المطامع التي ليست بمرضية وان يكفهم عن ارتكاب المآثم
ويمنعهم عن اقتراب المحارم ليكونوا على الدين الذي نصروه اغير والمنكر
الذي ازالوه انكر فلا ينطق بذمهم لسان ولا يشناهم انسان
نفعنا الله بحبهم وحشرنا في حزبهم ولله در القائل

حب آل النبي خالط لحمي ... وجرى في مفاصلي فاعذروني
انا والله مغرم في هواهم ... عللوني بذكرهم عللوني

ولو ذهبت استيفاء مناقبهم الجليلة وماثرهم التي افردتهم بكل فضيلة لملات
من ذلك الاوراق ولم اورد الا ما يقع الاجماع عليه والاتفاق فلنرجع
الى ما كنا

اليه ما كنا بصدده من غرض الكتاب والله الموفق للصواب فمن احسن ما قيل في
ذكر محاسن فاس

يا فاس منك جميع الحسن مسترق ... وساكنوك ليهنيهم لما رزقوا
هذا نسيمك ام روح لراحتنا ... وماؤك السلسل الصافي ام الورق
ارض تخللها الانهار داخلها ... حتى المجالس والاسواق والطرق

وقال آخر

فطفقة اعارته الحمامة طوقها ... وكساه حلة ريشه الطاووس
فكانما الانهار فيه مدامة ... وكان ساحات الديار كؤوس

وقال آخر

يا عدوة القرويين التي كرمت ... لا زال جانبك المحبوب محبورا
ولا سر الله عنها ثوب نعمته ... ارضا تحفيت الاثام والزورا

وقال آخر يمدح فاسا وعلمائها

تشيد على بلاد الله فاس ... وحق لها بما خصت تشيد
كفاها ان اقام بها مليك ... عظيم القدر ليس له نديد
ويبرلها على البلدان فضل ... وتاتيها الركائب والوفود
اليس لها صحاري الارض تجبى ... وعنها لا تميل ولا تحيد
اليس ترى عبادا لله طرا ... وكلهم لمالكها عبيد

وللفقيه القاضي الكاتب البارع ابي عبد الله محمد بن ابي عبد الله المغيلي يصف
فاسا ويتشوق الى مياهها وولي القضاء بمدينة ازمور

يا فاس حيا الله ارضك من ثرى ... وسقاك من صوب الغمام المسبل
يا جنة الدنيا التي اربت على ... حمص بمنظرها البهي الاجمل
غرف على غرف ويجري تحتها ... ماء الذ من الرحيق السلسل
وبساتين منسقين قد زخرفت ... بجداول كالايم او كالمنصل
وبجامع القرويين شرف ذكره ... انس تذكره يهيج تململي
وبصحنه زمن المصيف محاسن ... فتح العشي الغرب فيها استقبل
واجلس ازاء الخصة الحسنى به ... واكرع بها عن غديرك وانهل

وقالت الحكماء لا تستوطن الا بلدا فيه سلطان حاضر وطبيب ماهر ونهر جار
وقاض عادل وعالم عامل وسوق قائمة وقالت الحكماء ايضا احسن
موضع تبنى عليه المدن تجمع خمسة اشياء وهي النهر الجاري والمحرث
الطيب والحطب القريب والسور الحصين والسلطان القاهر به صلاح

لعل أبي حالها وتأمن سبلها وكف جبابرتها وقد جمعت مدينة فاس هذه الخصال التي هي
كمال المدن وشرفها وزادت عليها بمحاسن كثيرة وتنفرد منها بنبذ فمنها نهرها
المعروف بنهر الجوهر الذي باطلها بنحو ستة اميال وهو يخرج من نحو ستين عنصرا
احليا ينبعث من جهة القبلة وبعضها من جهة المغرب مسامتا لمشرق الشمس وله
منظر عجيب لصفائه وانهماله على الرضراض فيجتمع ما يخرج من تلك العناصر من المياه
فيصير نهرا كبيرا ثم لا يتبين جري الماء فيه لاستواء ارضه وحوله نبات الكرفس
والسعد ادنى مروج مخضرة لا تزال كذلك في فصول السنة الى ان ينحدر الى البلد ثم
فينقسم في داخلها مع جداول كثيرة فيشق اكثر جهاتها ويتشعب في داخلها فيتفقع
به في مساجدها وسقاياتها ودورها وارجائها وحماماتها وسن جناتها ثم يخرج عنها
وقد حاز اقذارها سائر فضلاتها وكان مولانا امير المسلمين ابو سعيد كرم الله وجهه
يحبه موضع عناصر هذا الوادي وامر ببناء دار تكون للنزهة هناك وشرع
في بنائها ثم منع من تمامها موانع وليس لهذا النهر نظير لصفائه وعذوبة
مائه وخفته وبرودة مائه في زمن الصيف وسخانته في زمن الشتاء وهو
يسخن سريعا ويبرد سريعا ويستحم سريعا وهذه الصفة محمودة عند الاطباء
ويخرج منه الصرف الثمين الذي يقوم مقام الجوهر ولذلك سمي وادي الجوهر
ومن منافعه انه يفتت الحصا التي تكون في المثانة ويزيل الصيبان من الراس
والقمل من الجسد لمن اغتسل به وداوم على شربه ويلين البشرة ويغسل به
الثياب دون صابون فينقيها ويكسوها رونقا ورائحة طيبة ويوجد فيه
السرطين المستعملة في الادوية وليست توجد في غيره الا نادرا ويخرج منه
انواع الحوت اللسي والبوري والسياح والبقة وذلك كله حوت لذيذ
المطعم ومنها ان مياهها العيون والآبار والانهار فمياه العيون والآبار
عذبة صافية باردة في الصيف حيث يراد ذلك منها ومياه الانهار بعكسها
سخنة في الصيف باردة في الشتاء فلا تزال الآلة السخن والبارد موجودين
في كل زمان وذلك مما يعين على التطهير والتنظيف ومنها قرب المعادن
لها كالملاحة التي بحيز الشاطئ الى وادي تكلش وبينهما في المسافة ثمانية
عشر ميلا ومن النادر في هذه الملاحة انها تحرث كلها بالزرع فتجد الفدادين
في وسط الملح مخضرة ناعمة تمتاز جاماتها فضلا من اصح وبنية ومعدن الجبس
والصلصال وانواع الحجارة والرمال وذلك على اختلاف انواعه متيسر بحضرته
الناس من منافعهم ومنها خشب الارز المجلوب لها من جبال بني يازغة
وهي بنحو الثلاثين ميلا عنها يحمل منها كل يوم احمال كثيرة فلا يعدم فيها
برجه وقد يعمر العود منه في الموضع الذي لا يناله ماء الف سنة وازيد
ولا يتعفن ولا يتسوس ومنها الحطب الكثير الذي يدخر ابوابها
من سائر جهاتها لا سيما من جبل بني بهلول فانه يصبح كل يوم على ابوابها من احمال
البلوط وغيره ما لا يوصف كثرة ومنها الحرث العظيم الذي باقطارها
سقيا

سقيا وبعلا ولكثرة المجاشر ما ليس على مدينة من مداين المغرب ومنها
بعدها من اطراف الارض التي تخاف فيها الفتن والغارات ومنها
اختصاصها بجميع الفواكه واصنافها وانواع الخضر والبقالي على اختلافها وسائر
نوار الارض وازهارها حتى لا يشذ شيء من ذلك عن طالبه منها ومنها
قرب العيون السخنة لها كعين خولان وحمة وشفاتة وحمة ابي يعقوب
فان فيهن مرفقا للاستحمام والتداوي وقد اعتنى مولانا امير المسلمين ابو
الحسن نور الله ضريحه ببناء حمة خولان على وجه محكم لتتم مصالح الناس فيها
ومنافعهم ومنها ان حرها وبردها ليس بالشديد جدا وقد يعتدل فيها
الفصلان الخريف والربيع في اوقاتهما فيكون دخول الخريف الى الشتاء متباين
البعد ولذلك كل فصل ينتقل من هذا الهواء ومن زمان الى زمان بالتدريج
فلذلك قرب اعتدال الهواء في ارضها وطاب الثرى وعذب الماء وزكت الاشجار
وطابت الثمار واخصبت الزروع وكثرت الخيرات وحسنت اخلاق اهلها
ونضرت وجوههم وابدانهم وانفتقت اذهانهم وقلما يخالف بعضهم
بعضا في الخلقة والصغر والجمال والتنظيف حتى فضلوا الناس في العلوم
والصناعات والمعرفة بانواع التجارات ومنها ان اهلها في العادة
اكثر خلق الله على امرائهم واكثر طاعة لحكامهم وولاتهم ومنها قربها من
وادي سبو الذي تسير منه القوارب والسفن الصغار الى البحر الاعظم
وتطلع من ابط الى ملتقى واديها وقد كانت دار صناعة لانشاء القوارب
والسفن الصغار وغيرها بالموضع المعروف بالجابة من ارض ابن مغبودة
التي بالقرب من ملتقى وادي فاس في ايام الخليفة عبد المومن الموحد حين
اراد الوجهة لفتح المهدية سنة اثنين وخمسين وخمسماية قيل انها كانت
عشرة كذا الفي بخط الفقيه ابي عبد الله محمد بن القاضي ابي العباس احمد
ابن المجعون الغشتالي وكذلك امر مولانا المتوكل ابو عنان رحمه الله
بانشاء جفنين اثنين احدهما شطرنجي وماية وعشرين مجدافا والثاني
سليم بستين مجدافا بمنزل خولان ودفعهما بوادي سبو الى ان وصل
لمعمورة سلا في شوال سنة ست وخمسين وسبعماية وقد جلب لمولانا امير
المسلمين ابي الحسن برد الله ضريحه نبيلة من الرخام الابيض زنتها ماية
قنطار وثلاثة واربعون قنطارا وسبقت من المرية الى بلد العرايش الى ان
طلعت بوادي قصر عبد الكريم وحملت منه على عجل الخشب تجرها القبائل
والرؤساء الى ان وصلت فنزل اولاد حسونة الذي على ضفة وادي سبو

وسقت فيه ايضا الي ان وصلوا الي حلق وادي فاس وحملت منه علي عجل
الخشب يجرها الناس الي ان وصلت الي المدرسة المصباحية الذي بعدوة
الاندلسيين ثم نقلت منها بعد ذلك باعوام الي مدرسة الرخام التي امر بانشائها
ببنائها مولانا امير المسلمين ابو الحسن رحمه الله بمقربة جامع القرويين وهي
التي بوسط صحنها الآن وكان جلبها من المرية سنة خمس وعشرين وسبعمائة
فان قيل كيف يتوصل الي وزنها فاعلم ان الذين جلبوها لما ارادوا اخراجها من
الجفن بالقصر المذكور عملوا علي حد الماء ثم فرغت وشحن في موضعها الخاطر
من الرمل بالوزن شيئا فشيئا الي ان بلغ الماء الحد فاعلم في قواريسها ثم فرغ الرمل
ووزن فعلم بذلك وزنها كذا ذكر بعض اليهود الذين حضروا لذلك وكتبوا
بذلك رسما وعلم وطولع به مولانا ابو الحسن رحمه الله وكذلك فعل بابواب
المطاهر التي صنعت من حديد في ايام عبد الله التي زنة كل واحد منها قنطار
علي ما ذكره البكري وكان مولانا ابو الحسن رحمه الله يامر برفع الاحجار الكثيرة
من خشب الارض من احواز الي معمورة سلا علي صفة يحملها البحر وفي
وبهر سبو ينبعث من عنصر فوارة دهشة معمولة في شعرا ومغاضة
ببلاد فازاز الذي يمر علي بني واريش وهذه العين لا يدرك لها قعر
ولعبر المجاورين لها تجاريب منها ان المريض اذا ارادوا ان يعلموا
هل يبرا او يموت حملوه راس العين للموضع المعمول فيغطسونه فيه
حتى يقرب ان يطفى ثم يخرج حينئذ فان خرج علي فيه دم فيستبشرون بحياته
وان لم يخرج من فيه دم ظنوا بهلاكه وهذا عندهم متعارف لا ينكر قال
صاحب الاستبصار لا يفعله الا جاهل وان فعله احد باحد يقتص
منه شرعا وما سوي ذلك من فصول هذا الباب قد يدرك بالمشاهدة
والتجربة ويتصيدون وادي سبو الشابل يطلع من معمورة سلا الي راس
عين سبو ويتصيدون فيه الحوت الكبير المعروف بالعرب بكونه في زنته
القنطار الواحد وازيد ويوجد فيه الحوت المعروف بالشعلي تصنع
منه الالوان باصناف البقل حلالا شم فيه رائحة سمك ومنها ميل الناس لسكناها
فقد سكنها جملة من اصناف الناس واهل الكور والامصار وانتقل اليها
من جميع البلاد القاصية والدانية فليس من اهل بلد ولا اقليم الا ولهم بها منزل
ومتجر وصناعة ومنصرف واجتمع فيها ما ليس في مدينة من مدن الدنيا واتسعت
التجارات واهل الصناعات منه لا منقطع حتى تكامل بها كل متجر وسيقت اليها

خيرات

خيرات الارض وجمعت فيها ذخاير الدنيا وتكاملت فيها بركات العالم وذلك
ببركة الامام ادريس بن ادريس رضي الله عنه وبركة دعائه لاهلها وبالله التوفيق
لا رب غيره

الباب الثاني

في ذكر من ادارها بالاسوار وزاد فيها الزيادات وذكر جامعها العتيق وما انتهت اليه من الدور والارحى والحمامات

لم تزل مدينة فاس كلاها الله تعالي من حين اسست دار علم وفقه وصلاح
وهي قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها وقطبها وهي كانت دار الادارسة
الحسنيين الذين اختطوها وكانت مملكة زناتة وغيرهم ممن ملك المغرب في الاسلام
وتركها لمتونة في اول ظهورهم علي المغرب ثم بنوا مدينة مراكش فانتقلوا اليها
لقربها من بلاد الصحراء ثم اتي الموحدون بعدهم فتركوا مراكش واتخذوها
دار مملكتهم لقربها من بلادهم ولكونها في جوارهم وبين قبايلهم كذا قال صاحب
المقباس وغيره وما زال الامراء والملوك في اثناء ذلك يزيدون في البنا بفاس
الي ان وصل ان صار الناس يبنون بارض المومنيين واتصلت العمارات
من كل الجهات الي استقلال ايام زناتة فادار منهم دوناس بن حمامة بن المعز
ابن عطية بن زيري الاسوار علي جميع ارباضها من كل الجهات وبنا بها المساجد
والفنادق والحمامات وغير ذلك وصارت مدينة واحدة الي ان ولي بعده ابناه
الفتوح وعجيسة فحصن الفتوح عدوة الاندلسيين وبنا بها القصبة الذ
لسكناه بالموضع المعروف بالكدان وفتح بالعدوة بابا سماه باسمه وكانت
بين الاخوين عداوة وصار التضاد بينهما وبين اهل العدوتين وكان
قتالهم بالموضع المعروف بكهف الرقادين وكثر الهرج بسبب ذلك في ارض
المغرب واشتد الغلاء الي ان ظهر امر لمتونة في اطراف المغرب وظفر
الفتوح باخيه عجيسة فقتله ولما ظفر به كره ان يبقي الباب باسمه وامر
بتغيير ذلك وترك اضافته اليه فاسقط الناس حرف العين من عجيسة
وادخلوا عوضا عنها الالف فقالوا باب الجيسة وبقي كذلك الي الان وبعد
ان ظفر باخيه اتاه لمتونة فنزلوا عليه وحاصروه وتخلي عن المدينة فولى بها
معنصر ابن عمه الي ان دخل لمتونة وقتل من بها من زناتة ودخل ايام المتونة

صحنها
هدمت الاسوار التي بنيت ايام الادارسة الفاصلة بين العدوتين وارباضها
واصلح السور الذي باعلى الوادي الكبير بقرب حوض السفرجل والسور الذي
باسفله حيث هي الرميلة الذي كان بناه دوناس حين ادار الاسوار على سائر
ارباضها وجعل في ذلك اقواس بشبابيك من خشب الارز بالعلا المحكم لدخول
الماء وخروجه وكان جعل بين العدوتين قناطير كي زمنا لاعدوة الي الاخرى
والاولي قنطرة ابي طوبة التي جدد بناءها مولانا امير المسلمين ابو سعيد رحمه الله
والثانية قنطرة ابي برقوقة والثالثة قنطرة باب السلسلة والرابعة قنطرة
الصباغين والخامسة قنطرة كهف الرقادين والسادسة قنطرة الرميلة وحين
جاء السيل العظيم سنة خمس وعشرين وسبعماية حمل قنطرة باب السلسلة وما
والاها فامر مولانا امير المسلمين ابو سعيد رحمه الله ببناء قنطرة باب
السلسلة وقنطرة الصباغين فبقيتا على حالتهما الان وبنيت قنطرة كهف
الرقادين على يدي من تطوع بذلك من المسلمين وبقيت قنطرة الرميلة مهدومة
الي الان وكان كبير لمتونة واميرها يوسف بن تاشفين يولع في زيادة المساجد
بفاس وسقاياتها وحماماتها وخاناتها واصلاح اسوارها وامر من قدم من قرطبة
جملة من صناع الارض فبنوا منها كثيرا الي ان انتهوا الي ما يذكر بعد ان شاء الله
تعالى وفي ايامه صارت العدوتان قنطرا واحدا ان قذا وفي ايام ولده علي
بني سور القراحة التي بين باب الجيسة وباب بصليتين على يد قاضيه
عبد الحق بن معيشة بجال وضعه على اهل مدينة فاس حسبما ذكره حاجر
المقاييس وفي سنة اثنين واربعين وخمسماية امر الامير عبد المومن بن علي
بهدم اسوار فاس قال انا لا نحتاج الي سور انما اسوارنا سيوفنا وعدلنا
وبقيت الاسوار كذلك الي ان بدا ببنائها حفيده يعقوب المنصور وكمله
ولده ابو عبد الله محمد الناصر وبني قصبة الوادي التي بها الان وكذلك بنا
الشريعة على حالها الان كما بنا مولانا امير المسلمين ابي سعيد ... الكرم
العالمين سور زيتون ابن عطية واقام البرج العظيم العتيق هناك وكتب
عليه اسمه وبفاس الان من الابواب باب الفتوح وباب الخوخة وباب
بني مسافر وباب الجيسة وباب بصليتين وباب الشريعة وهي باب
يدخلها الفارس بالعلم العالي والرمح الطويل من غير ان يميل العلم ولا يثني
الرمح لارتفاعها وسميت باب المحروق من اجل العبيدي القايم بجبال غمارة
لما ظفر به وقتل رمي راسه على باب الشريعة المذكور واحرق جسده بوسطها
وذلك يوم وكتب مصارعها بامر الامير محمد الناصر بن المنصور سنة ستماية

وباب المطهر

وباب المطهر المتصل من ابوابها بالقصبة وباب الوادي الذي هو لدخول
الخلفاء وخروجهم المتصل ايضا بالقصبة وباب اكريو وباب زيتون ابن عطية
وباب الجيزيين والمفتوح منها الان خمسة وسائرها غلق في ايام المجاعة واشتهرت
مدينة فاس في ايام المرابطين والموحدين من بعدهم من الغبطة والتجارة والرفاهية
والدعة والامن والعافية ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب لا سيما في ايام المنصور
الموحدي وولده محمد الناصر كانت المساجد فيها سبعماية وخمسة وثمانين ودور
الوضوء اثنين واربعين والسقايات ثمانين والحمامات ثلاثة وتسعين وارحي
الماء اربعماية واثنين وسبعين ودور السكنى تسعة وثمانين الفا ومائتين وستة وثلاثين
والمطهر سبعة عشر الفا واحدى واربعين والفنادق اربع ماية وسبعة وستين
والحوانيت تسعة الاف واثنين وثمانين وقيساريتان اثنتان واحدة
في كل عدوة منها ودارا السكة في كل عدوة منها والاطرزة ثلاثة الاف
واربعة وتسعين ودور عمل الصابون سبعة واربعين ودور الدباغ
ستة وثمانين ودور الصباغ ماية وستة عشر دارا ودور سبك الحديد والنحاس
اثنا عشرة دارا ودور عمل الزجاج احدى عشرة دارا وكوش الخبز
ماية وخمسة وثلاثين وافران الخبز العجين وماية وسبعين واحجار
عمل الكاغد اربع ماية كل ذلك بداخل المدينة ودور الفخارة ماية وثمانية
وثمانين بخارج المدينة نقل ذلك عن الشرف علي بن عمر الاوسي فاعلمه
من خط الغريفر مشرف المدينة في ايام الناصر بن المنصور سنة خمس وثمانين
وخمس ماية وكان اذ ذاك بضفتي الوادي الكبير من حيث يستمد ويحوله
اليها الي ان يخرج منها دور الصباغين وحوانيتهم ودور الدباغ والعطارين
وحوانيت الحلفاويين والسفاجين والمواضع المعدة لطبخ الغزل و
والغوالين وغيرهم ممن يحتاج الي الماء ومن اعلا ذلك الطرزة للحاكة ولم يكن
بالمدينة واد يظهر حاشى الوادي الكبير وباقي انهارها بقي عملها حوانيت
ودور وبني على ذلك معار ولم يكن بداخلها رياض والبستان حاشى
زيتون ابن عطية وخرب ذلك في ايام المجاعة والفتنة التي كانت في ايام
العادل واخيه المامون وذلك عشرون سنة الي ظهرت الدولة المرينية
اظل الله ايامها ونصر اعلامها فتجددت البلاد وامنت الطرق والعباد
كذا نقلته من الانيس وانا بناء جامع القرويين والاندلسيين
وذكر الزيادات فيها الي هذا الوقت والحين فذكر ابو القاسم بن جنون
وغيره في تاريخ فاس انه لما كثر الواردون عليها في ايام الامير يحيى

والعقابين

وعينها ... وفي ...

ابن محمد بن ادريس بن ادريس رضي الله عنه كان ممن قدم عليها من القيروان
محمد بن عبد الله الفهري القروي فنزل بعدوة القرويين مع اهل بلده
الذين قدموا معه فمات وترك بنتين وهما فاطمة المدعوة بام البنين
ومريم وحصل لهما بالميراث مال كثير طيب فرغبتا ان تصرفاه في وجوه
من البر فاعلمتا ان الناس قد احتاجوا الى بنا جامع كبير بكل عدوة
من فاس لضيق الجامعين القديمين المذكورين فشرعت فاطمة
في بنا جامع القرويين ومريم في بنا جامع الاندلسيين اما جامع
القرويين فكان الشروع في حفر اساسه للاخذ في بنائه يوم
السبت مهل شهر رمضان المعظم سنة خمس واربعين ومائتين
وكان موضعه الذي بني فيه ارض العمل المحصر وفيه اشجار لرجل من هوارة
كان قد حاز ذلك ابوه بوجه صحيح حين اسست المدينة فاشترتها منه
فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري القروي ودفعت الثمن من مالها
الحاصل لها من ميراثها من ابيها تطوعت ببنا الجامع المذكور فحفر في
ارضه واخذ منها التراب والكدان لبنائه وحفر بها بير لاخذ الما
لبنائه ونصبت قبلته على نحو قبلة جامع الشرفا الذي اسسه
الامام ادريس بن ادريس رضي الله عنه بعد مشورة اهل العلم
واجتهادهم في ذلك وهي من اربع بلاطات من قبلة الى جوف في كل بلاطة
اثنا عشر قوسا من شرق الى غرب وجعل محرابه بمقدم البلاط الذي امام
الثريا الكبرى الان وجعل بمؤخره صحن صغير وبمؤخره صومعة حيث
هي العنزة الان وتم على نحو ما ارادته وذلك بهمة الامير يحيى ثم
صلت فيه شكرا لله تعالى الذي وفقها لذلك ولم يزل على نحو ما بني في ايام
الادارسة الى ان كثرت العمارات واتصل البنا في ارض المدينة من سائر
الجهات وجرت امور زناتة بارض المغرب في سنة سبع وثلاثمائة فازيلت
الخطبة من جامع الشرفا لصغره واقيمت بجامع القرويين لاتساعه
وكبره وصنع له منبر من خشب الصنوبر وكان اول خطيب خطب به
الشيخ الفقيه الصالح ابو محمد عبد الله بن علي الفارسي وقيل سنة احدى
وعشرين

وعشرين وثلاثمائة وان الذي اقام الخطبة به اذ ذاك هو الامير
حامد بن حمدان الهمداني عامل عبيد الله الشيعي على بعض بلاد المغرب
بعد ان كان تغلب عليها مصالة بن حبوس عامل القائم بدعوة الشيعي
ولم تزل كذلك الى ان تقوى ظهور زناتة بالمغرب باستدعا الناصر
لدين الله لكبرائهم ورؤسائهم واكرام ساداتهم وقضا حاجاتهم
وحمل امر الطاعة على اهل المعصية منهم ممن عجز برحاله فحقق بالمن ضعف
حاله الى ان صارت اليه افئدة كثير منهم بين مصحح في ولايته ومستجيب
لدعوته مغتنم لعطيته مستغن بقوته على مدافعة قد هدر كنه من الادارسة
والشيعة فقام زناتة بدعوة الناصر لدين الله وتغلبوا على بعض بلاد
المغرب وبايعه اهل مدينة فاس فمن بايعه حسبما ذكره صاحب المقتبس
فولى عليها عاملا له من زناتة يعرف باحمد بن ابي بكر الزناتي
وكان من اهل الفضل والدين فكتب الى الناصر يستاذنه في بنا الجامع
واصلاحه والزيادة فيه لحاجة الناس لذلك فاذن له وبعث اليه بمال كثير
من اخماس غنائم الروم وامره ان يصرفه فيه فاصلحه وزاد فيه اربع بلاطات
من المغرب وخمسة من الشرق وثلاثة من الجوف في موضع الصحن
الذي كان فيه وجعل بمؤخر الصحن الذي به الان في غربيه هذا الصحن
بلاطان وفي شرقيه كذلك وفي جوفيه بلاط واحد بعد ان هدم
الصومعة التي كانت به فكونها مستطيلة الاشراف وبنا به الصومعة
التي به الان ولما شرع في بنائها جعل سعة كل وجه منها احدا
وعشرين شبرا ويصعد لها على مائة درجة ودرجة وجعل بابها من
جهة القبلة وغشيت بعد ذلك بصفائح النحاس الاصفر وتم العمل
في بنائها على يد احمد بن ابي بكر الزناتي المذكور في شهر ربيع الاول
سنة خمس واربعين وثلاثمائة حسبما كتب في التربيعة المنقوشة
بها في جهة الصحن وجعل في اعلاها قبة صغرى ووضع في ذروتها
تفافيح مموهة بالذهب في زج من حديد وركب في الزج المذكور سيف
الامام ادريس بن ادريس رضي الله عنه وسبب جعله هناك ان الامير
احمد بن ابي بكر المذكور لما فرغ من بنائها اختصم اليه بعض حفدة ادريس

في السيف المذكور وطلب كل واحد منهم ان يمتاز به ويحوزه لنفسه وطال
النزاع في ذلك فقال لهم الامير هل لكم ان تسلموه لي وتتركوا النزاع
قالوا له وما تصنع به قال لهم اجعله في اعلى هذه الصومعة تبركا به
وليكون لكم ذكر بسببه فقالوا له وهبناه لك طيبة به نفوسنا فجعله (قدح)
في ذروتها وقد نظم شعراء الوقت في هذا السيف مقطعات كثيرة فكان
اول من فتح فيه باب المقال للشعر شاعر هذا الاوان وحايز قصب
السبق في هذا الميدان ابو العباس احمد بن عبد الحاجر فقال

انكر السيف المنار بفاس قايل ان ذاك داعي اغتنام
لا تروعه الحسام سل علينا جنة الخلد تحت ظل الحسام

ثم تلاه صاحبنا ابو عبد الله محمد الحاجري فقال

يقولون زجرا ان فاسا قضى لها بذلتها سيف المنار المشيد
لقد اخطاوا فزجرهم ضل سعيهم هل العز الا تحت ظل المقلد

ثم تلاه صاحبنا الاستاذ ابو عبد الله محمد المدعو بابن آجروم فقال

ساموا بفاس سيف ادريسهم فوق منار لا لامر مخوف
بل اشعروا ابقوا لخير الورى جنتكم تحت ظلال السيوف

وقال ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى

بسيف منار بفاس غدت محاسنها دانية القطوف
وجنة تحت ظلال السيوف

وقال رحمه الله

وما خص ادريس المنار بسيفه لغير ولكن كي يعم نداؤه
مشيرا اجيبوا داعي الله تاهتدوا ومن لم يجب داعيه هذا جزاؤه

وقال الفقيه العدل ابو زيد عبد الرحمن المليلي

الم بفاس ولم تسمع لقايلهم سيف المنار كما ثوب مكتسب
الم تر الشمس رقت تحت كاتبها والسيف اصدق انباء من الكتب

وقال الاديب المجيد ابو العباس احمد الوباغ

سيف ادريس بالمنار بفاس ليس للغم لا ولا للمخافة
انما كان وضعه السيف فيها معلنا انها بيت الخلافة

وقال الامير

وقال الامير الرئيس الاوحد ابو الوليد اسمعيل بن فرج الاحمر

وما السيف فوق ذاك المنار بذلة بفاس ولكن امرة ابها اثر
رآها ابن ادريس مقر خلافة فجرده عزا لاملاكها الغر

وقال الفقيه العدل ابو العلا ادريس بن رشيد

شاد ادريس بالمنار حساما حسبنا ذاك عن سكوت العقاب
داعيا للصلاة ان لم تجيبوا فتحقيق الجزا ضرب الرقاب

وقال صاحبنا الفقيه ابو محمد عبد الغفار

ذكرت وهم الخلق للذكر ناسي عجايب سيف ادريس بفاس
لم يكن بالمنار شرا ولكن ليرفع عن حالها كل باس

وقال صاحبنا ابو الفضل بن باشر رحمه الله

قل لمن انكر الحسام بفاس زاد عن الغم قول ذي تجريح
سيف ادريس بالمنار شهير شهرة الدين بالاذان الصحيح

وقال صاحبنا ابو عبد الله محمد بن علي الفخار شهير بالجبار

شهرة السيف فوق المنار عزة للورى ودين النبي
سيف ادريس محمد للاعادي وانتصار الملوك بالاكرمي

وقال ابو محمد عبد الواحد اليتيوني

يقول الناس يقول لهم سيف ادريس عم الناس في فاس
تعنى لقايلهم بل سيف ذي شرف علا كما قد علا ادريس في الناس

وقال الاديب سعيد بن ابراهيم العقاد عرف شهبون

لادريس سيف اظهر الدين والهدى بافق منار للاذان تشيدا
فمن ظن ان الذل ادركنا به فهل ذل الا الظالم ضل واعتدى

وما ذكرنا من نظم اصحابنا في هذا السيف غير موافق لما ذكر المورخون
من كونه لم يجعل هنالك الا ابقاء ذكر الامام ادريس رضي الله عنه وقد نظمت
في هذا المعنى

سيف ادريس منتضى بالمنار لا للغم النفوس والاغيار
انما جعله هناك ليبقى خالدا ذكره مدى الاعصار

فلنرجع الى ما كنا بصدده من تتميم الكلام في هذا المعنى وذكر الزيادات
فيه على وجه التقريب والاختصار ثم جعل تحت القبة المذكورة قبة

اكثر مما يجلس المؤذنين وجعيت المراعي منهم لاوقات الليل وانصداع
الفجر لاقامة الاذان وبنوائه يقتدي المؤذنون بصوامع المدينة يعلونه
على العادة المنتقلة من قديم الزمان ولهم بمواضع منها بلاطات رخام موضوعة
بالحكمة وفي وسط كل بلاط قايم يستدل باستواء ظله على خطوط في البلاط بطول
ازمان النهار وبمرور ساعاته قد نصبها اهل العلم بالهيئة من نظر وموافقة
وهي لهم من افضل الهدايات وفي عطفات ادراجها سرج زاهرة يمر عليها
الليل كله يستعان بها على رعي الفجر واجزاء الليل ولم تزل كذلك الى ان
ولي القضاء الفقيه الخطيب ابو عبد الله محمد بن ابي الصبر ايوب بن يكنون
فعمل فيها ايام العدل ابو عبد الله محمد بن الحباك من فخا
السماء وفيه آلة وجعل على وجه الآلة طيفورا من نحاس فيه خطوط وانقاب
ويخرج منها الآلة بقدر معلوم الى ان يصل للخطوط فيعلم بذلك فيها اوقات
الليل والنهار وفي ايام الغيم ولياليها وذلك في خمس وثمانين وستماية ثم اغفل
عنه واهمل وفي السنة المذكورة شرع في اصلاح الصومعة المذكورة
وتبييضها بالجص والجير بعد ان سمر خشبها من خارجها ثلاثة قناطير
وربع قنطار ونصف ربع قنطار من مسامير الحديد وكلفت بعد تبييضها
حتى صارت كالمرآة المصقولة بعد ان كانت الطيور تعشش في ابراجها كانت
بها فانقطعت اذايتها وبنى ايضا الغرفة المطلعة على باب الصحن معد
واستقل اليها بيت المراعي للاوقات وجلوس القومة بها واما
المنجانة التي صنعت بهذه الغرفة لمعرفة الاوقات فان الشيخ العدل
ابا عبد الله محمد بن عبد الله الصنهاجي القطاع احدثها هنالك ورسمها له
ابو عبد الله بن الشريشية القرموطي وتطوع ببعض الملبلي بالانفاق
فيها سنة سبع عشرة وسبعماية وذلك انه جعل في ركن الغرفة غشيا او
المستقبل جناحا من خشب الارز وجعل في داخله بدنتين كبيرتين من فخار
احدهما اعلى من الآخر وجعل الاعلى منهما وفي الاسفل انبوبا من نحاس
جمعه بالذهب محكم العمل يليه طوبه الماء في البدن الاسفل بقدر معلوم وجعل
جوف الجنج منطسا ورسم في جانبي التغطية بروج الافلاك والاسهم
الجهة والساعات ودقايقها واوقات الليل والنهار وجعل المسطرة
معلقة في علو خارج من الجنج يمر بين وحيزه التغطية المذكورة طالعا
وهابطا وجعل على وجه الآلة الذي يجمع في البدن الاسفل جسما مجوفا على هيئة
الاترجة معلقا في الطرف الداخلي من العلو الخارج من التغطية

وطلعت

وطلعت بطلوعه المسطرة وكلما طلعت بطول الازمان ظهر قربا
الوقت المطلوب فاذا تم النهار والليلة المقبلة له رد الماء الى البدن
الاسفل للبدن الاعلى وعلق المسطرة كما كانت ثم غفل عن ذلك الى
ان تقدم للنظر للاوقات والرعاية للمؤذنين ابو عبد الله محمد بن محمد
بن العربي رحمه الله لسبع واربعين وسبعماية فجدد المنجانة المذكورة
على وجه اتقن من الوجه الاول ولم يزل يجتهد في ذلك الى ان حضر ايام
مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله فاكثر الاجتهاد في خدمته وجعل
خارج الجنج المذكور تجاه المستقبل له دايرة وعليها شبكة كشبكة
الاسطرلاب ورسومه تدور حتى طلعت المسطرة المذكورة يعرف بها
فيها اوقات الليل والنهار واعد هنالك مع ذلك رخاميات لاختبار
الاوقات وجملة اسطرلابات موقوفة ذلك على من يستعمله وينظر فيه
اجزاء الليل والنهار وقد صعد مولانا المتوكل ابو عنان رحمه الله الصومعة
ليعتبر المدينة وترتيبها ووقف على المنجانة وما اتصل بها فاستحسنه
واثنى على الناظر فيه بمرتب ووضع عليه فيه ليستعين به على القيام بمعاير
الاسلام وذلك في سنة تسع واربعين وسبعماية وامر نضر الله وجهه
باثر ذلك ان يجعل باعلا الصومعة المذكورة منار وينتشر فيه علم ابيض
في اوقات صلاة النهار وفنار فيه سراج زاهر لاوقات صلاة الليل
يستدل بذلك من يبعد عن المدينة ولم يسمع النداء وفي ذلك اعتنا بامور
الاوقات وما يتعلق بها من وجوب الصلوات ويترتب عليها من
الحقوق في وجوه شتى من العادات والعبادات

نور به علم الايمان مرتفع ... للمهتدين به للحق ارشاد
ياتون من كل درب نحوه قبلهم ... لا زال للرشد اصدار وايراد

وقد نظم في هذا المعنى ذلك صاحبنا ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
المتقدم ذكره

سر فاس لفارس قد تبدا ... وضع ادريس في المنار حسامه
فهم العز للهدى فوري ... ناره معلما وسل اعلامه

وقال ابو محمد عبد الواحد الزيتوني المتقدم ايضا

رفع المنار ابو عنان فارس ... اعلا المنار وزاد فيه علامة
شهد الاذان بذاك شهرة رافع ... لظهور دين الله فيه حساما

ومما قيل في المنجانة لاحد الشعرا

روح من الماء في جسم من الصفر ... مركب بلطيف الحس والنظر

مستعبر لم يغب عن عينه سكر ... ولم يبت جفنه ويد ضغن على حذر
وفي اعاليه حان يفضله ... للناظرين بلا دهر ولا فكر
اذ ابكي كان في احشايه فلك ... خاف المسير وان لم يبد لم يدر
مترجم عن مواقيت يخبرنا ... بها فيوجد فيها صادق الخبر
تقضى بها الخمس في وقت وان ... غط على الشمس ستر الغيم والمطر
وان تسهرت بالذكات تؤرقني ... عرفت مقدار ما السهد والسهر
يحو ذلك صيحات تخبره ... صدور التنبيه للاسفار والحذر
ومخرج لك بالاجزا الطفها ... من النهار وفوت الليل والسحر
نتيجة العلم والافكار صورته ... يا حبذا ابدع الافكار في الصور

وقد صنع مولانا المتوكل ابو عنان رحمه الله منجانة بطيقان وكؤوس من نحاس مقابلة لباب مدرسته المؤيدة التي احدثها بسوق القصر من فاس وجعل شعارها كل ساعة ان تسقط صنجة في طاس وتنفتح طاق وذلك في ايام اخرها الرابع عشر لجمادى الاولى عام ثمانية وخمسين وسبعماية على يد موقتة علي بن احمد التلمساني المعدل وقد ذكر الامام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه كيفية المنجانة باوعب ما يكون في كتاب المقصد الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى عند شرح اسمه تعالى الحكيم فانظره هناك يذكر ان بعض الخلفاء كان يشدد على قومه الاذان في انا لا يصعد للاذان نهارا الا من عرف عفته ووثق به في غض بصره محوطة على حرم المسلمين والاطلاع على عوراتهم وخوف فتنة تحدث بسبب ذلك من الوقوف في ذلك وكان بعض من ... بالنظر في الحسبة امر المؤذنين بعمل عصايب على اعينهم حين الاذان بالنهار وقد جرت هيجان ومحن بسبب ذلك يطول ذكرها فمن ذلك الهيجة التي كانت بمراكش بسبب اطلاع مؤذن في صومعة الكتبيين على دار ابن جامع وهي حكاية مشهورة لا يسع شرحها كافيها من ذكر المنجانة ومن ذلك الهيجة التي كانت بفاس في يوم الجمعة الثاني عشر لشهر ربيع الاول سنة ستة عشر وسبعماية بسبب الرجل الذي ازال الصخرة من اعلا دور سقايته وهي ايضا مشهورة وقال ابو العباس المبرد في الكامل كان سبب هدم خالد بن عبد الله منارات المساجد حتى حطها عن دور الناس انه بلغه شعر لرجل ينحو الى الانصار وهو هذا

ليتني من المؤذنين حياتي ... انهم يبصرون من في السطوح
فيشيرون او يشير عليهم ... بالهوى كل ذات دل مليح

واما القبة

واما القبة التي على العنزة فانه لما تغلب الصغير بن المنصور بن ابي عامر حاجب هشام المؤيد على فاس بعد ... في سنة ثمان وثمانين وثلثماية بنا القبة المذكورة ونصب اعلاها طلسمات وتماثيل كانت قبل ذلك على راس القبة التي كانت باعلى المحراب الاول بالجامع المذكور مما صنعه الاوائل ومنه ما صنع في ايام الشيعة فجعل الطلسمات على العمدة من حديد منها طلسم الفار على صورة الفار لا يدخلها ولا يعيش بها وان دخلها انتفخ وقتل ومنها طلسم العقرب وهو على صورة طاير منقاره يشبه ذنب العقرب فكانت العقرب لا تدخله وان ادخلها احد في ثوبه جمدت فلا تتحرك ومنها طلسم في تماثيل من نحاس للحية فلا تدخله وان دخلته انتفخت وقتلت وما يوجد من الحيات وهو من عمار الجن وهذا لا ينكر فان الله سبحانه قد اجرى عادته في ارتباط بعض الاشيا ببعضها اذا كانت في وقت مخصوص ولم يعلم قط على قديم الزمان وحديثه ان لدغت فيه حية ولا عقرب وقد تعطل هذا الطلسم منذ اعوام وترك هذه الصور وازالتها كان اولى لانها ذات ظل وذلك محرم في السنة اذا كانت كاملة الخلقة واما السقاية والبيلة المستطيلة التي عن يسار الخارج من باب الحفاة الجوفية فان المظفر ايضا بناها وجلب لها الماء من وادي حسن الذي باعلى المدينة من ناحية باب الحديد واما المنبر الذي صنعه المظفر بن المنصور عبد الملك الذي صنع في اول ظهور زناتة فكان من عود الابنوس والعناب وكان مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما هذا ما امر بعمله الخليفة المنصور سيف الامام عبد الله هشام المؤيد بالله اطال الله بقاءه على يد حاجبه عبد الملك المظفر بن محمد المنصور بن ابي عامر وفقهم الله تعالى وذلك في سنة تسع وثمانين وثلثماية وكان يخطب عليه الى ايام علي بن يوسف بن تاشفين فتحرك وصنع المنبر الذي به الان على يد القاضي ابي محمد عبد الحق بن عبد الله بن معيشة الغرناطي ولم يتم في ايامه وتمم بعد صرفه عن قضاء فاس على يد الفقيه القاضي بعده ابي مروان عبد الملك بن بيضاء القيسي وصنع من عود الصندل والابنوس والنارنج والعناب وعظم العاج وكان الذي صنعه وخرمه الشيخ الاديب ابو يحيى العتاد وكان من عمر عمرا طويلا حتى كان زاد على المائة سنة وكان اماما في اللغة والشعر روى عنه جلة من اهل فاس وغيرها وكان جل النفقة فيه من مال الاحباس المستخرج من النظار عليه ثلاثة الاف دينار وثمانية دينار وسبعة اعشار دينار فضة وكان له غشاآن احدهما من جلد معزى

واثنا عشر من صفر فكان يخطب بالاعنزة في كل يوم جمعة وذلك في شعبان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة حسبما كتب في اعلا زروته بالعاج والخطبا الذين خطبوا عليه منذ صنع في آخر دولة لمتونة وفي آخر دولة الموحدية وصدر الدولة المرينية اطال الله تعالى الى زماننا اولهم الخطيب المبارك الصالح ابو موسى عيسى وكان من احسن الناس خلقا وخُلقا وافصحهم لسانا واكرمهم بيانا وكانت موعظته تؤثر في القلوب لصدقه واخلاصه وكان يخطب في كل جمعة بخطبة لا تشبه اخرى فاقام يخطب مدة من خمسة اشهر ثم اخل الموحدون المدينة فصرفوه عن الخطبة وقدموا مكانه الفقيه الصالح ابا الحسن بن عطية لاجل حفظه للسان البربر لانهم كانوا لا يقدمون للخطبة والاقامة الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري فخطب به الى ان توفي في شهر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة فخطب بعده الشيخ الفقيه الورع ابو محمد يسكر بن موسى الجوراي وهو احد اشياخ الصالح المغرب في الدين والفضل والزهد والورع والتقشف والايثار والصدقات كثير قيام الليل لا سيما في رمضان فقيل له ذات ليلة لو ارحت نفسك قليلا واعطيتها حظها من النوم لكان ارفق لك فقال انما اريد راحتها ثم انشد

لا تجعلوا رمضان شهر فاكهة ... تلهيك فيه من الحديث فنونه
واعلم بانك لن تنال ثوابه ... حتى تصوم نهاره وتصونه

ويحكى عنه ان احد علماء الموحدين بفاس كتب للخليفة يمر الكشي بان ابا محمد لا يدعو له ووصله الخبر بذلك في حال ان خرج فبعث من جيشه بان يشخص وكان ممن وقف بين يديه احد الصقلب وبيده اطرزين من حوايا فاخذه عند بعده وقال لمن حضر بعد ما اقتلعه فقدر ان ضرب به جبهة نفسه بضربة فانبعث من الضربة دم كثير فبادر الاطبا لقطع دمه بجملة من الادوية فلم ينقطع وكان ممن حضر عند الخليفة احد الصلحا فقيد بر في ذلك وقال للخليفة انه كان همت بسوء فيما منه فتركوا اشخاص ابي محمد فتاب من ذلك وبعد ان برد الذي بعث باشخاصه فانقطع الدم من جبينه وكان لم ينفع الله بعلم وماشية كثيرة ببلاده التي نشأ بها ورثها عن ابيه فكان يتصدق بالكثير منها وكان يوم يخطب له يسير عجمة في لسانه فرأى بعد ذلك ان قدم خطيبا الفقيه الزاهد ابا عبد الله محمد بن حسن ابن زيادة الله المزني وانفرد هو بالامامة ثم توفي ابو عبد الله ابن زيادة الله ثالث وعشرين من جمادى الاولى سنة اثنين وسبعين وخمسمائة فخطب بعده الفقيه ابو القاسم بن باستخلاف

ابي محمد يسكر له في ذلك الى ان توفي في يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة احدى وخمسين وخمسمائة فخطب بعده الفقيه الصالح الورع ابو عمران موسى المعلم لكتاب الله تعالى باستخلاف ابي محمد يسكر له في ذلك وكان ابو عمران يعلم الصبيان في المكتب الذي بقنطرة ابي الروس وكان له صوت شجي حسن يبكي كل من سمعه يقرأ القرآن ولما كلف الخطبة داخلته دهشة واطلق صبيانه ثم اخذ في البكا والدعا وقال اللهم لا تفضحني بين عبادك يا ارحم الراحمين ولما نادى المؤذن الله اكبر الاذان الاول لبس احسن ثيابه وسار الى الجامع فقعد في حجرته الاذان فقام وخطب ولم يتوقف ولم يتلجلج ثم دخل المحراب فاتى بالحكمة وفصل الخطاب في قراءته فبكى وابكى فلما تمت الصلاة اقبل الناس اليه يقبلون يديه ويتبركون به ولم يزل خطيبا الى ان وصل الفقيه القاضي ابو محمد عبد الله بن ميمون الهواري فكان اول سواله لاهل المدينة عن خطيب جامع القرويين فذكر له فيه خير واثني عليه كثيرا فلما جاءت الجمعة رآه فلم تعجبه صورته وقال فيه قولا فقال له بعض من حضره لو سمعت خطبته لا عجبتك فلما سمع خطبته بكى وخشع فلما فرغ من صلاته طلب منه المغفرة والدعا وكان سريع الدمعة كثير الخشوع والغالب عليه في احواله الخوف وتوفي ابو محمد يسكر في الحادي والعشرين لذي قعدة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة واقام اماما بجامع القرويين اربعين سنة لم يسه فيها بوجه لكثرة حضوره في صلاته ولم يتوك عقبيا وسيفو يسكر الذين بفاس ليسوا من عقبه وانما اشتركوا في الاسم واجتمع لابي عمران الخطبة والامامة الى ان توفي في عشرين من صفر سنة سبع وتسعين وخمسمائة فخطب بعده ولده الفقيه ابو محمد عبد الله وسنه يومئذ ثمان عشرة سنة وكان له حظ وافر من الجمال والعلم والدين والفضل والورع وحسن الصوت ولم تكن له صبوة في صغره ولم يزل مشتغلا بطلب العلم منقطعا للعبادة ولما مرض والده ابو عمران قيل له استخلف ولدك للصلاة فقال ان علم الله فيه خيرا فهو مستخلف فلما توفي ابو عمران وحمل الى قبره ووضع على شفيره للصلاة عليه ضج الناس بالبكا وطلب من يصلي عليه فقال قاضي البلاد لولده تقدم فصل على ابيك فتقدم وصلى عليه وانصرف الناس وقدم في موضع ابيه واستحسنه الناس ولما اتى الناصر بن المنصور الى مدينة

فاس بعث اليه ليراه فوصله وسلم عليه وبقي يحادثه الى ان جاز وقت
صلاة الظهر فقال له لم حصل بنا فعلا فقال له الناصر من تركت في جامعك
للصلاة بالناس قال تركت به من هو خير مني وهو معلمي الذي قرات القرآن
عليه وذلك انه لما وصلني رسولك تحيرت في امري فيمن يتقدم لذلك وقلت لا اعلم
متى يكون الرجوع هل بالقرب ام بالبعد فحيرني الحال وتذكرت قول الرسول
عليه السلام مولاكم مولاكم من علمك آية من كتاب الله فاعلمته بالقضية
واستخلفته في مكاني فقال له الناصر جزاك الله خيرا ثم امره بالانصراف واتبعه
معلمه بجملة من ثياب وصرة فيها الف دينار فرجع الى الناصر وشكره ودعا له
وقبل منه الثياب واستعفاه من امر الدنانير فعفاه ولم يزل خطيبا واماما الى ان
توفي يوم الاحد الحادي عشر لرجب سنة احدى عشرة وستمائة فخطب بعده الفقيه
ابو محمد عبد الله القضاعي وهو المعلم المشار اليه باستخلافه هو لما تقدم
عليه وطعن فيه وقال الناس انه يبعث صبيان المكتب للنفخ وطولع بذلك من
في النظر العام فقال ان الذي قدمه للصلاة اقرب بين يدي الناصر امير المومنين
انه خير منه فاتركوه على حاله فترك ابو محمد القضاعي المكتب وصار معتكفا
في الجامع ساكنا بالدار الموقوفة على ائمة الجامع الى ان توفي يوم الخميس
الثاني والعشرين من رمضان سنة خمس عشرة وستمائة فخطب بعده
الفقيه الصالح ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشلبي وكان من اهل
العلم والدين والفضل وكان له صوت حسن ومعرفة بالاوقات توفي
سنة تسع وعشرين وستمائة فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح الحج
ابو عبد الله محمد بن عبد الله المدعو بالخطيب وكان مجاب الدعوة وتوفي
سنة خمس وثلاثين وستمائة فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح الورع
ابو محمد عبد الغفار ستة اشهر وتاخر لنفسه وكان سبب تاخره ان
احد الحساد اشاع عنه انه يبغض السلام يقول السلام عليكم وبلغه
ذلك فاستدعى جماعة من وجوه المدينة وقال لهم انه بلغني انه يقال
اني ابغض السلام وبالله ما فعلت ذلك قط ولكن انظروا لانفسكم
من يكون عوضا مني وبالله الذي لا اله الا هو لا تقدمت بها ابدا فخطب
بعده الشيخ الورع ابو الحسن علي المعروف بابن الحاج ويحكى عنه انه
لما تاخر ابو محمد عبد الغفار رغب الناس من الشيخ الصالح ابي محمد القشتالي
ان ينظر لهم خطيبا عوضه ليستخير الله تعالى فيمن يصلح لذلك فنام
فراى في منامه ان الرسول عليه السلام يشير عليه بابي الحسن المذكور
فلما كان من صباح اليوم جاءه الناس وعدهم فقال لهم عليكم بابن الحاج
فاستدعي ثم رغب اليه بعد المرة فاجاب واشترط ان يسكن الدار المحبسة
على ائمة

9

على ائمة الجامع وقال لا ينبغي ان تكون الدار للسكنى عوض الامامة وتورع عن ذلك
فقيل له ان لم تكن تسكنها تعطل حبسها فينبه المحبس لذلك فقال اما معلوش
لا انظر لنفسي مخرجا ثم اجاب لسكناها على ان يكون يخيط حصر الجامع ويرى
ان ذلك عوضا من السكنى فالله ينفعه به وتوفي سنة ثلاث وخمسين وستمائة
فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح المشاور الورع ابو عبد الله محمد بن يوسف
المزدغي ثم قدم ولده الفقيه ابا القاسم للخطبة واقتصر على الامامة فخطب
ولده عوضا عنه وكان لما دعي للامامة استرجع ثلاث مرات فقيل له في
ذلك فقال انه اخبرني الشيخ الحافظ المحدث ابو ذر الخشني وانا اروي عليه
الاحكام في الحديث المشهور يوم توفي الفقيه ابو محمد بن موسى المعلم وولي
القضاعي عوضه ونظر الي ثم قال لي انك تلي
الامامة للصلاة بالناس في جامع القرويين وذلك في آخر عمرك فلما
دعيت للامامة ذكرت مقالة الشيخ وعلمت ان اجلي قرب فاسترجعت
واقام ابو عبد الله محمد في تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين
وستمائة فولي الامامة بعده الشيخ الفقيه ابو الحسن علي بن
ثم توفي ابو القاسم المزدغي فخطب بعده الفقيه ابو عبد الله محمد بن
زيادة الله المزني الى ان توفي وباثره توفي ايضا ابو الحسن بن حمد رحمه الله
تعالى فخطب بعده بتقديم فقهاء المدينة واشياخها الشيخ الفقيه
القارئ المتقن ابو العباس احمد بن ابي زرع واقام في ذلك مدة من سبعين
يوما فخطب بعد ذلك الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن ابي الصبر ايوب بن
يكنفون الكاتب البيجي من بني اسد واضيف له الامامة بامر مولانا
امير المسلمين ابي يعقوب سنة ثلاث وسبعين وستمائة فخطب بعده الشيخ
الفقيه الصالح ابو الحسن يحيى بن ابي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن يوسف
ابن عمر بن الفتوح المزدغي في يوم الجمعة التاسع عشر لجمادى الاخيرة لسنة
اربع وتسعين وستمائة وتقدم للامامة الفقيه المحدث الاصولي ابو العباس
احمد بن راشد العمراني عن امر مولانا امير المسلمين ابي يعقوب رحمه الله
وهو في عشرين لجمادى المذكورة واقام اماما ثلاثة اعوام ثم صرف عنها
واضيفت الامامة الى ابي الحسن المذكور الى ان توفي في خامس وعشرين
شوال سنة ست وعشرين وسبعمائة فخطب ولده الفقيه المحدث ابو
الفضل محمد وكان حسن السمت قليل الضحك موليا بقضاء حوائج الناس

من عرفه ومنهم لم يعرفه تارة بنفسه وتارة بجاهه وتارة برسالة مع اخواه حتى
انه لا يرد من قصده شاعرا كان او غيره بل يبادر بقضاء حاجات من قصده وربما
عذله بعض الناس في ذلك فكان ينشدهم

لا تقبلن الشعر ثم تضيعه ... فينام والشعراء غير نيام
واعلم بانهم اذا لم ينصفوا ... حكموا لانفسهم على الحكام
وجناية الجاني عليهم تنقضي ... وعقابهم يبقى على الايام

وكان الناس يتوسلون به عند الخلفاء والامراء وغيرهم في حوائجهم
الكريمة عندهم وكان اكثر مسيحاته في الحراثة والزراعة والغراسة وكسب اموالا
كثيرة وكان اكثر الانفاق لنفسه وحشمه لاسيما في الولايم والمواسم الى ان
ارتكبته ديون كثيرة وغفل عن ضبط ماله والتفقد لاحواله واشتغل بالعلم
فقضي عليه حال حبسه مبلغه احد وثلاثون الف دينار وثلاثماية
من جملتها ودايع كانت بيده ولم يبلغ ما
دينارا كلها من الذهب
التي بيده وحوزه من الاملاك والرباع وغير ذلك عشر طلب الناس اموالهم اليه
وقيامهم عليه حاشى عشرة الاف دينار وخمسماية دينار من الفضة اقسمه
الغرما بينهم حسب ديونهم مولانا امير المسلمين
ابي الحسن رحمه الله عند تحققه ذلك الا صرفه عن الخطبة والامامة ورأى ان
ذلك مما يقدح فيه وانفذ امره بصرفه فرفع له هذه الابيات من نظمه رحمه الله

امولاي يا خير الملوك ومن له ... مزايا على كل الملوك الاكابر
اما آن ان تعفو وترحم شاكيا ... وحبك سار في الحشا والضماير
وحسبي ان قبلي اليك مجرد ... لديك بلا دني الانام وحاضر
فكيف يضيع يا خير ناظره ... وانت امام ذو العلا والمآثر
وكيف يكون الزيغ حسبكم ... فضائل مهما نافي القرى والحواضر
وقد قال اهل العلم طرا ابغاسا ... بان الورى كان ليس بغابر
وغايته ما قد عدوها صغايرا ... ولا قدح فيمن قوى بالصغاير
أأبعد عنكم دون فعل كبيرة ... وامنع تحصوا من صعود المنابر
ولو كنت يا مولاي اعلم انما ... رقي منبرا مثلي يكون مناظر له
لما طمعت نفسي لشيء من العلي ... والزم ستر ما هون الصفوف الاواخر

ولما وقف عليها صمم على صرفه وكتب الامر بذلك لمدينة فاس من منصورة
تلمسان في الثالث عشر من شعبان سنة ست واربعين وسبعماية وتوفي مولانا
ابو الحسن

ابو الحسن رحمه الله على قصيدة ديه من نظمه كان اراد رفعها الى ابنه العلي حين
غلبه الوهن فوديته فتحل من ذلك واجرى له جراية من
مجبى فاس مبلغها ماية دينار وخمسون دينارا خفية في كل شهر الى ان توفي
في عقب شوال سنة ثمان واربعين وسبعماية ومن القصيدة قوله

مالي سوى المقتدي بالكتب والرسل ... بعد الاله امير المسلمين علي
مالي سواه كلا رجيه منه ... مالي سواه فنيل السول والامل
نجل الخليفة عثمان الذي وضحت ... منه المعالي وضوحا غير محتمل
اعني ابا حسن قطب الملوك ومن ... احيا الخلافة في علم وفي عمل
غوث الملوك اذا خطب الم بهم ... غيث العفاة امان الخايف الوجل
بحر السماحة فياض الموارد ه ... عذب وبيروكي في نصل وفي نكل
يبنيك يوم هياج الحرب عنترهم ... عند الطعان وما عجز بمحتفل
ماضي العزيمة في شجاعته ... يرمي علي كل ذي وصف وذي مثل

وتعلم ان مثل هذا انما هو ليكثر من الشكر على ما في الانسان وحفظ الال
من الخير والصالحة وليتذكر العاقل وينتبه الغافل فخطب من بعده الشيخ الصالح
الخاشع التالي لكتاب الله تعالى ابو محمد عبد الله محمد بن الجنيار من الحروف
وكان رحمه الله كثير الخشوع وصدقة السر وقدمه لذلك مولانا امير المسلمين
ابو الحسن رحمه الله الى ان توفي في يوم الخميس سادس عشر من شهر الله
جمادى الاولى سنة خمسين وسبعماية فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح
العالم الخاشع الورع الزاهد ابو الحجاج يوسف بن عمر الانفاسي بتقديم
مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله بعد الاستخارة في ذلك والنظر في الاصلح
للمسلمين وقبل التقديم بعد ان ابدى اعذارا لم يسمع لوفيا للمصلحة الى غلبه
على اعذاره وفرح الناس بتقديمه له وشكروه لاحتفاله بالامور الدينية
وبعث له في اول خطبة خطبها كسوة سنية تشتمل على برنس وبرد كلاهما
ابيضان واحرام للتردية ومنديل للتعمم وذراعتين من ثوب الرهاف
وقبطية شراشية العمل قال الرسول الذي حملها له ان قيمتها ازيد
من ماية دينار من الذهب ولما وصلته خجل من ذلك وقال ان هذه الكسوة
لا تصلح لمثلي وفيها علي من اللباس الكفاية وفهم منه طلب المعافاة في قبولها
فقال له الرسول انت من اهل العلم وعندك وجوه لاخذها وانما قصد مرسلها
وسهمه بها التقوية لاهل العلم مثلك وليمتاز الخطط من غيرهم وليعلم
الناس بتقديمه لك وما لك العلمية من التقدم فقبلها وشكره عليها

وافعاله بصلاح الاحوال وبلوغ الآمال ثم لبس بعضها في خطبته الاولى
ثم وهبها لمن يستحقها وهو السيد الشريف ابو عبد الله محمد بن عمران
المتقدم ذكره واقتصر على عادته في لباسه ولم يزل عنده محمولا على البر
والتقوى والاكرام والرعي المستدام مقضي الحوائج على الدوام وخطب
نايبا عنه لعذر ابداها الشيخ الفقيه القاضي الراوية المحدث ابو عبد الله
محمد بن الحاج ابي الحسن علي بن عبد الرزاق الجزولي وما زال ابو الحجاج
يوسف يعتذر عن القيام بها الى ان استعفى بالقيام بذلك الفقيه ابو عبد
الله محمد بن علي المذكور واقام خطيبا الى ان اعتل حفظه الله وتخلى بعجزه
عن الخطبة فخطب بعده الشيخ الفقيه العدل الصالح ابو محمد عبد الله بن
الخطيب الصالح الورع الخير ابو محمد عبد الواحد بن الخطيب الاشهر
ابي عبد الله محمد بن ابي الصبر بتعيين مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله
لذلك في يوم الجمعة الرابع عشر لجمادى الاولى سنة ثمان وخمسين وسبعماية
وتوفي الفقيه ابو عبد الله بن علي بن عبد الرزاق المذكور في يوم الاحد
الرابع لذي القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعماية وبقي الشيخ الصالح ابو
الحجاج اماما الى ان مرض عجز عن القيام بالامامة فتقدم ولده الذي به
الولي ابو الربيع سليمان نايبا عنه في ذلك بعد اباية عنه ثم اجاب في يوم
الاربعا الثامن عشر رمضان سنة ستين وسبعماية واستمر على الاستنابة
الى ان توفي والده المذكور في يوم الاحد الثالث عشر لشعبان سنة احدى
وستين وسبعماية واستقل ولده ابو الربيع بالامامة وظهر منه خير
واستقامة ثم تاخر من تلقاء نفسه نفع الله به لامر ظهر له في ذلك واجتمع
للخطيب المبارك الصالح ابي محمد عبد الله بن ابي الصبر المذكور الخطبة
والامامة وذلك في اواخر عام ستة وستين وسبعماية ومن
الزيادات في الجامع المذكور الباب الاكبر الغربي الذي بسماط الموثقين
بني من مال الاحباس في ايام الفقيه القاضي ابي عبد الله محمد بن عيسى
السبتي سنة خمس وخمسماية كذا قال صاحب المقياس ثم صنع خارجه
قبة الجص المغربية التي عليه الآن الغربية الصناع سنة سبع عشرة
وثمانماية على يد الخطيب ابي محمد عبد الله بن موسى المعلم قال صاحب الانيس
والباب الاكبر ايضا المعروف الآن بباب الشماعين بني من مال الاحباس

في ايام

في ايام القاضي ابي عبد الله محمد بن داود سنة ثمان عشرة وخمسماية
كذا الكتب في قبة الجص المبني بداخله وصنع مرتفعا واسعا على صفة الباب
الغربي منه المذكور وركب عليه مصراعين عظيمين قد حصنتا قاعدتاهما على
ما هو الآن وحين حفر الناس عقد الباب وجد من بيارا لا اخر فيه حيث
هي الدكانة الآن فعبر اتهم انه كنز فهدم بعض الاقباء فوجد فيه صهريج
طويل بانية اشبار وعرضه كذلك وفيه ماء معين وبالصهريج سلحفاة
عظيمة فاختلفوا في اخراجها ثم راوا ان يستشار في ذلك فقهاء المدينة
فاشاروا بتركها في موضعها وان يعاد الاقباء كما كان وهذه الفتوى
لا تصح والله اعلم لان السلحفاة اما ان كان فيها الحياة فلا يجوز البنا عليها وان
كانت ميتة فلا يجوز ايضا بنا المسجد على الميتة الا ان يكون ذلك الماء عذرا ولها
وليس في البنا عليها تعذيب لها فلا يصح البنا عليها وايضا فقد يكون من
تقدم لها حرب غير مرة وقوع الضرر لمن يريد اخراجها من موضعها اما ان
يكون جنا عامرا او غير ذلك والله اعلم ولما تم بنا هذا الاثر بخارجه
ثم تقرر ان اضطرمت نار بجهة باب السلسلة واحرقت ما مرت به من الاسواق
الى ان وصلت قبة الخشب المذكورة فاحرقت وذلك في جمادى الاخيرة سنة احدى
وسبعين وخمسماية ثم جدد خارج الباب والقبة التي احرقت وصنعت القبة
من الجص على نحو ما هي الآن على يد عمال الموحدين في شعبان سنة ستماية
كذا الكتب فيها وكان الانفاق في ذلك من بيت المال وفي ايام القاضي ابي عبد الله
محمد بن داود وزيد في الصحن بنا بلاطين من الجهة الشرقية ومن الجهة الغربية
كذلك وفرش الصحن في ايامه حسبما ذكره صاحب المقياس وفي الانيس
ان الصحن كانت به حفرات من صخر يجتمع فيها الماء فتطوع العريف المتقن
ابو عبد الله محمد بن صخر بفرشه من ماله وكان له الربع من الدور ورثها عن
ابيه فباعها وانفقها فيما يحتاج اليه من آجر وجيار وغير ذلك وتولى فرشه
بيده ولم ياخذ في ذلك كله من احد شيئا وقال انما ابتغيت بذلك وجه الله
تعالى وهو الفرش الذي به الآن وهو به من شرقه الى غربه مايتا صف الا
ثلاثة وعشرون صفا في كل صف مايتا آجرة وثمان عشرة آجرة فيصح تكسيره
اثنان وخمسون الف آجرة وتسعماية واربع وسبعون آجرة وفي طوله ايضا من
الاشبار مائة واثنان وثمانون شبرا وعرضه خمسة وسبعون شبرا ومما زاده
القاضي محمد بن داود المذكور ان جعل له مظال من شقق الكتان تنشر عليه
كل يوم جمعة في زمن القيظ يحجب بها الشمس عن المصلين العاجزين
عن الرواح الى الجامع المنازل الذين لا يجدون محيصا عنه لتضايق الجامع
وذكر بان جعل في اطنابها سلبات تجري في الحرموقة بالرفوف الزايدة

الصحن

علي جوانب الصحن ترتفع بها المظال عند الحاجة اليها ثم تحط وتزال
وتخزن الي وقت الحاجة اليها ايضا وجعل في مواضع منها فرجا يتفرج منها
الهواء وبقيت كذلك اعواما الي ان تمزقت واهمل النظر فيها وبقيت اثارها
ظاهرة الي الآن كذا نقله صاحب الانيس ومما انشد في معنى ذلك شيخنا القاضي
المذكور

تنظمت الدنيا بعدلك في الورى ... وفسحت للافاق بالخلق جامعا
فشكى صحنه شمس الظهيرة ضاحيا ... فاظللته ظلا عن الوهج مانعا

ولما كثرت العمارات بالمدينة في ايام امير المسلمين يوسف بن تاشفين
وضاق الجامع بكثرة المصلين الي ان كانوا يصلون في افناء الشوارع والاسواق
اجتمع فقهاء المدينة واشياخها ورفعوا ذلك للقاضي ابي محمد عبد الحق بن
عبد الله بن معيشة الغرناطي سنة تسع وعشرين وخمسمائة وذكروا له كيف
تنفع الزيادة فيه ويتولاه وجوههم في الاعانة علي بنائه واعلموه ان كثيرا
من اوقافه قد جمع عند كثير من احباسه قد ادخلوها في منافعهم وحبسوها
عن اموالهم وانما تقدم بالنفقة في الزيادة فشاور في ذلك الامير علي
ابن يوسف بن تاشفين واعلمه ان ذلك من رفع علم الدين والتوسعة
للمصلين لاسيما في الجمعة التي هي من اعياد المسلمين فاذن له وتوجه الطلب
والمحاسبة
علي المنظرة والوكلاء في ذلك ومحاسبتهم فعند ذكر ان الذي
فيه فكان ثمانون الف دينار فضة ثم شرع في شراء الاملاك التي كانت بقبلة الجامع
فاشتراها باحسن شراء قيل ان اكثرها كان لليهود لعنهم الله وجنى كثيرا من
شراء ما اراد واخذ في هدمه وبيع بالاحتياج من نقضه ما جمع من ثمن ذلك
ازيد من الثمن المشترات به ثم اخذ في البناء في هذه الزيادة فكملت عشر
بلاطات من صحنه الي قبلته واخذ في عمل القبة التي باعلي المحراب وما بعدها وما
متوسط البلاطين المتصلين بها فعمل ذلك بالجص المقربص الفاخر الصنعة
ونقش ذلك كله بورقة الذهب واللازورد واصناف الاصبغة وركب
في الشمسية التي بجوانب القبة اشكال متقنة من انواع الزجاج والوانه
وتم ذلك علي احسن ما اريد ثم اخذ في تغشية بعض ابواب الجامع بصفائح
النحاس الاصفر بالعمل المحكم والشكل المتقن واحدث عمل المنبر الذي به الآن
علي نحو ما ذكر قبل من العمل الذي كان به قد درس وقد ذكرته ثم بدا بالعمل في بناء
مقدم القبة حيث ينتهي الي المحيط الجائز فعزل القاضي ولم يتم ما اراد وذلك
في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وقد تقدم غيره ولم يشرع في شيء منها
ذلك وبقي علي حاله الي ان ولي قضاء المدينة الشيخ الفقيه ابو مروان عبد
الملك

الملك بن بيضا التيمي في سنة سبع وثلاثين وخمسمائة فتمم ذلك في
ايامه علي نحو ما بدأه ابن معيشة واقتصر علي ما تمشي في ايامه من الابواب
وكان الفراغ من هذه الزيادات في شعبان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة
ويذكر ان النقش والتذهيب الذي كان باعلي المحراب ودائر القبة التي
عليه غطي بالكاغد وعمل عليه الجص حين عزم الخليفة عبد المومن بن علي
علي الدخول لفاس والصلاة في الجامع المذكور لانه ذلك كان مشغلا
للمصلين وبقي كذلك الي الآن ويذكر ايضا ان التراب والكوان الذي بني
به هذه الزيادة كان اخرج من كهف عميق تحت بعض هذه البلاطات الثلاث
والكهف الاخر منطبق بالقطعة التي بين المحراب وباب المدرج المحدث هناك
دون الآن الذي صرف في ذلك كان يستقى من البير التي بصحنه كل ذلك تحريا من
الشبهات كذا نقل صاحب الانيس واما الثريا الكبرى
فانه كانت بموضعها قبل عمل هذه ثريا شكلها في الجرم قد ذرت وتكسرت
وصنعت هذه في ايام الفقيه الخطيب ابي عبد الله محمد بن المعلم رحمه الله
وكان الانفاق فيها سبعمائة دينار وسبعة عشر دينارا وخمس دينار من
الدنانير الفضية كل ذلك من مال احباس الجامع وفيها من الصفر ما يعجز
عنه الآن وفي وزنتها سبعة عشر قنطارا ودرج قنطار وربع قنطار
وعدد ودها اثنان وثلاثون شبرا وعدد مراكز قنادلها خمسمائة وتسعة
مركزا والذي يسع من الزيت جميعها خمس قلال وكانت تارة
تسرج كلها في ليالي رمضان وتارة لا تسرج الي ان ولي الشيخ الفقيه
ابو عبد الله محمد بن ابي الصبر قضاء المدينة فرأى ان اذا اسرجت كل
ليلة من رمضان قد يكون ذلك سرفا في مال الجامع وان لم تسرج قد يكون ذلك
تعطيلا لما اريد بها فاقتضى نظره ان استشار امير المسلمين مولانا ابا
يعقوب وانهى اليه امرها فامر ان ياخذ في ذلك بالاوسط في الامور
وان تسرج كلها في كل ليلة فرد من ليالي السابع والعشرين من رمضان وتسرج بعضها
في سائر لياليه العام فدام العمل علي ذلك الي الآن ومما قيل فيها

تحكي الثريا الثريا في تالفها ... وقد علوا بها نجم وهي تتقد
كانها الدين والايمان اخشعه ... من التخشع جوف الليل ترتعد

ومما قيل في السراج

انظر إلى السرج في الليل مشرقة   من الزجاج حواليها وهي تلتهب

كأنها ألسن الحيات بارزة   عند التحير فما تنفك تضطرب

وقال المزياتي في الثريا

انظر إلى نورية نورها   يصعد بالأذكار سجف الغسق

وقال ابن عبدون

كأنها في شكلها ربوة   انتظم النور بها فاتسق

وقال محمد بن خلف

يا حبذا تلك التي أشرقت   كأنها عند مغيب الشفق

وقال ابن المرحل

أعيذها من سوء ما يتقى   وفجأة العين ومن حرب الفلق

وأما المودع الذي عنده الآن فإنه عمل في أيام الفقيه الصالح أبي محمد يشكر فيوضع فيه مال الأحباس وأوقافه وكان الناظر فيه نائبه الفقيه أبو القاسم بن محمد وبناه بأن حفر تحته إلى أن وصل الأرض الصحيحة ثم بلطه بالرمل والجير وجعل أسفله طاقة من أحجار كبار مبسوطة وطاقة من الرمل والجيار ورصص داخله وسقفه بخشب الأرز وجعل له خمسة أقفاس بصفائح من حديد وباباه أحدهما بحذاء الآخر وكل ذلك على الوجه المحكم والعمل الوثيق وجعل لكل باب منها ثلاثة أقفال ثم جعل في داخله ثلاثة صناديق كبار عليها أقفال وثيقة ثم وضع فيه أوقاف الجامع وأمانات الناس فاحتيل عليه في أيام القاضي أبي عبد الله محمد ابن عمران وسرق منه مال كثير واجتهد في البحث عليه فلم يعثر عليه وأما البيلة والخصة ودار الوضوء وإحداث البناء في توسع باب الحفاة وتجديدها وفتح الباب المقابل لعنفرق ابن جيون من الجهة الشرقية من الجامع المذكور فإن ذلك في أيام الفقيه الصالح أبي محمد يشكر يحكى أنه قدم رجل من جبال بني يازغة يعرف بعيسى بن عبد الله بن سوات وكان له مال كثير واستوطن فاسا ولزم صحبة الشيخ أبي محمد يشكر وذكر له أن بيده مالا طيبا ورثه من أبيه وأن أباه اكتسبه من حراثة بيده في أرضه ومن ماشية تولدت عنده وهو يريد أن يصرفه فيما يحتاج إليه جامع القرويين

فتوقف

فتوقف الشيخ أبو محمد إلى أن ينظر في ذلك وصار الرجل يلح عليه في أن يجعل دار وضوء بقرب الجامع المذكور لتكون عونا للمصلين فلما رأى عزمه وتوسم فيه الخير حمله إلى الجامع ووقفه بين المنبر والمحراب واستحلفه أن ذلك المال طيب فحلف له ثم قال له اشرع الآن فيما أردت والله ينفعك وكان في موضع دار الوضوء الآن دار واشتراه
بما وجب بمعونة محمد ال
واستوعب نقضه ثم بحث على موضع يجلب منه الماء لذلك فأعلم بمواضع شتى واستشار فيها أهل المعرفة والنظر فلم يروا له أصلح من عين بوعيرة بحومة وتعرف العين بعين جرمال ومنها إلى الجامع خمسمائة ذراع فاشترى ذلك بأصناف القيم حرصا على مراده ثم رغب من الشيخ أبي محمد أن يعلم بذلك الناصر الموحد ويستأذنه في أن يجلب هذا الماء حيث يباح له من الشوارع فأجابه إلى ذلك وأعلم به الناصر فأسعفه فيما طلبه ثم شرع في بناء دار الوضوء وجعل لها خمسة عشر بيتا ولكل بيت حصرا عاليا فوق سقف كل بيت طاق لدخول الضوء وأخرى فوق بابه وعلق في كل طاق من طيقان أبوابها ثريا صغيرة من الزجاج تسرج في أول الليل وآخره وفي كل بيت أنبوب من نحاس ينصب منه الماء في نقير منحوت في صحن طوله شبران وعرضه شبر وعمقه نصف شبر وفي سقفها قبة من جص منقوشة العمل مرقشة بأنواع من الأصبغة وعلق في وسطها ثريا ولها خوارس من زجاج تسرج في أول الليل وفي آخره أيضا وأدار من الجهة القبلية والشرقية والجوفية أحد عشر طاقا لدخول الضوء بجميعها وجعل بوسطها بيلة من الحجر الأحمر طولها عشرون شبرا وعرضها خمسة أشبار وفي وسطها ذراع مجوف وركب عليه شبه خرشفة فيها عشرون ثقبا كلها من نحاس مموه بالذهب ينصب منها الماء للبيلة وأدار بها مقعدا للجلوس مصففين وجعل بين يدي البيلة حلقا ينحدر منه الماء المستعمل في الوضوء إلى مجرى دائر بذلك كل ذلك من الرخام الأبيض وجعل على حوضها مصرية للغسل بها وقعد إلى العين المذكورة قرب الماء تنفجر من فوارة في حجر صلد ويجتمع الماء منها في بيت صغير كبيت الحمام فجعل في أرائه صهريجا مربعا طول كل جهة منه عشرة أشبار عقدا بالرصاص فيحصر فيه الماء الخارج من البيت ثم أخرجه منه على شباك من رصاص يشبه المسطرة إلى قواديس من رصاص سعتها الحرمة شبر ثم مر بالقواديس إلى عقبة الملاحين إلى المسجد الشرقي إلى حائط القيسارية إلى سوق الجزارين إلى سوق الغزالين إلى الميضأة التي أعدها

بالحانوت المتصلة بالبيلة الغربية من باب الحفاة واخذ ما احتاج لدار الوضوء
وصرف بعض ذلك للبيلة المذكورة وللسقاية المتصلة وللبيلة التي بباب الحفاة
المغشية بالرصاص وطول هذه البيلة سبعة وعشرون شبرا وهي متصلة بخارج
الباب وقد جعل عليها شباكا من خشب وفتح فيه اربع خوخات وارتفاع هذا الباب
ستة عشر شبرا وسعته ثمانية عشر شبرا وطول الملعب الفاصل بينه وبين
الصحن عشرون شبرا وعرضه ستة عشر شبرا فرش في ايام الفقيه
القاضي ابي عبد الله محمد بن ابي الصبر بالرخام الابيض والاكحل ويندفق
الآن من جهة العين المذكورة الى هذه البيلة المغشية بالرصاص ثم ينصب
منها على رخام ابيض وازرق واحمر يغسل عليه الحفاة ارجلهم ثم يغور
الماء في قناة معداة ثم قدم لعمل البيلة والخصة اللتين بالصحن رجل
من سجلماسة يعرف بالفقيه ابي الحسن بن عبيد الله السجلماسي وكان
من اهل الدين والايثار وصنعها له ابو عمران موسى بن حسن بن ابي شامة والبيان ج
وكان من اهل المعرفة بالبناء والهندسة بعد ان استشير في ذلك الفقيه
الحاكم ابو محمد عسكر فاستعظم ذلك وعمل البيلة وما حولها من الرخام
الابيض وجعل طول البيلة اثني عشر شبرا وارتفاعه ستة اشبار وسعتها
نحو ثلاثة اشبار وعمقها كذلك وجعل ما يقابل الواقف اليها عن يمينه
بذلك تكغيف رخام وجعل على ذلك
وشماله الواح رخام
مما يقابل الواقف شباكا من الرخام من مائة واربعة وعشرين خاتما
مسدسة الاحكام وكتب تحته في حجر منقوش بخط بديع بسم
الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد وعلى اله وسلم تسليما وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط
من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون كمل في شهر جمادى الاخرة سنة
تسع وتسعين وخمسمائة وجعل تحت ذلك من الواح الرخام خمسة انابيب
ينصب منها الماء في البيلة المذكورة ثم يغور منها بعد امتلائها في قناة مطوية
تحتها معدة لذلك في الجهة الشرقية منها ويصرف منها للخصة الغربية منها
من جهة غربيها قد عملت من طاقتين في دور ما ثلاثة عشر شبرا قاعدتها على
ساق مقسوم على نصفين كل ذلك من النحاس الاصفر فيصعد الماء المعد
من البيلة في النصف الواحد من الساق قائم بقعر رأس وسطها من ثمانية
انقاب بجوانبه خرشفة من نحاس مموهة بالذهب ثم يغور منها الماء
بعد امتلائها في انقاب معدة لذلك بجوانبها ويجتمع في النصف الثاني
من الساق فلا تزال البيلة والخصة مملوءتين ينزل ما سال منها
لمعارف

لمعارف المصلين والعاكفين والواردين والصادرين في وضوئهم
وشربهم متى احتاجوا اليه في ليلهم ونهارهم وهذه فضيلة تتكرر
على الدوام لهذا الجامع ولم تسمع في ذلك واعان عليه من خلفاء الاسلام
ثم تيسر ما يجري من ماء الخصة الى الميضاة التي بالجهة القبلية من الجامع المذكور
واما العنزة التي به الآن فانها صنعت حين كان الفقيه ابو عبد
الله محمد بن ابي الصبر ناظرا في احباس جامع القرويين ومن اكابرها
وانفق فيها وذلك سنة ست وثمانين وخمسمائة وفيها من غرابة الصنعة
ونفاسة الصنعة واتقان الالصاق بدقة والنقش وجلالة الاحكام
ما يقضي بالعجب ويصرح بالاعجاز ومما اصلح الحائط الشرقي ومسح
سقف البلاطين به وذلك في ايالة مولانا امير المسلمين المجاهد في سبيل
رب العالمين ابي يوسف رحمه الله تعالى سنة اثنين وثمانين وستمائة
وانفق فيه من مال الجزية والاعشار واصلح ايضا الحائط الجوفي
من حول الحائط الفاصل بينه وبين الدار المرفقة لسكنى ائمة الى
حد باب الصفر الذي هنالك وذلك في ايالة مولانا امير المسلمين
ابي يعقوب رحمه الله وانفق فيه خلفا لذهب حاز له من غنائم الروم
وكان اصلاحه على يد قاضيه بالمدينة الفقيه ابي غالب ابن القاضي
ابي عبد الرحمن المغيلي وذلك سنة ست وتسعين وستمائة ومما
احدث فيه الباب المدرج الذي بقبليه وذلك ان العالم الفاضل الاكمل
بالمدينة ابا الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجدودي كان الباب المدرج
الذي بني في ايام الناصر الموحد بجوفي جامع عدوة الاندلسيين
من المدينة وراى ان يخرج امره مع القرويين ويصنع له هذا الباب
ليكون مماثلا للباب المذكور مبناه على هيئته الآن وصنع
اسفله نقيرا من خشب مصفحة بالرصاص وجلب له الماء من عيون ابن الصادي
المعروفة بعين الكوازين ليعبر عليه الحفاة وغيرهم وجعل عليه شباكا من خشب
الارزيز يعبر عليه من اراد الصعود الى الادراج وصنع باعلى الادراج بابا
عظيما يخرج منه لقبلة الجامع وصنع عن يمين الخارج من اسفل الادراج
والجص المنقش وانواع الاصبغة كل ذلك بصناعات
سقاية
محكمة وطريقة العمل وجلب اليها الماء من الموضع المعروف ويذكر انه انفق
في ذلك من مستغلاته في سنة ثلاث وتسعين وستمائة واراد ان يعلم بذلك امير
المسلمين ابا يعقوب رحمه الله ويجعل ذلك صدقة له ثم ان من عمله بادر بالسعادة
اليه ورفع لامير المسلمين انه احدث بالجامع ما لا يحتاج اليه بغير اذن فامر

امير المسلمين بتعليقه الى ان ينظر في امره فتعطل عن ذلك ولم يزل الباب مغلقا الى
الآن ومـمـا احدث فيه الامير المرحوم ابو حفص ابن امير المسلمين
ابي سعيد رحمه الله ان جعل في الجهة الغربية من الجامع تسعة من الطيقان لزيادة
الضوء في تلك الجهة وامر ان يجعل على المحراب مقصورة وشرع الصناع في عملها
وانشئت من الالة اجنابا من خشب الارز بصناعة النقاشين ارتفاع كل جنب منها
تسعة اشبار وطول الاوسط منها ثلاثون شبرا وهو الذي صنع فيه الباب وطول
كل واحد من الاخرين خمسة وعشرون شبرا ثم ان الناس ظهر لهم ان في ذلك
مضرة بانقطاع الصفوف وحيلولة بينهم من الامام وغير ذلك من الوجوه
ورفعوا الامر في ذلك لمعتمها ثم وبينوا له ما ظهر للناس من الضرر وقالوا له
مع ذلك امور مصلحية فرجع عن عمله ثم وضع في جملة من جهات الجامع وهو
الآن معلق بمعلقة الباب المدرج المغلق وكان ذلك سنة اثنى عشر وسبعماية
وكان الانفاق فيه من مال الاحباس على يد الناظر فيها ابي عبد الله محمد بن
حيون وكان مولانا ابو الحسن رحمه الله اراد ان يجعل بهذه الاجناب المذكورة
مقصورة بجامع القصبة من فاس لبعض الاسباب وقدرها فاقتضى ذلك والله
اعلم وامـا الفانوس الكبير المعلق بالبلاط الاوسط المقابل للباب
الكتبيين فهو الذي انفق بجبل الفتح من بر الاندلس حين استفتحه المسلمون
على يد الامير الاسعد الشهير ابي مالك عبد الرحمن بن امير المسلمين ابي الحسن
رحمهما الله وزنته فيما ذكر عن الذي جلبه عشرة قناطير [illegible]
للناس امير المسلمين ابو الحسن امر ان يعلق هنالك بعد ان يعمل في جوانبه ابناج
قائمة منفرجة ليبقى جرمه ظاهرا ويعمل عليها مراكز بعدد اربع الزجاج التي
تسرج فيه وباسفله اوصالا يعلق بها اثنى عشر رطلا وعمل فيها
ملتقف وفي وسط ذلك طبق شبه الخاتم ناتئ عن الاوصال وفي اسفل حروف الطبق
بيادق مخروطة ونطاق محفور في وجه الاوصال كل ذلك من النحاس الاصفر المنقوش
المخرم بالصناعة المحكمة وكتب على النطاق الحمد لله وحده امر بتعليق هذا الفانوس
المبارك مولانا امير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ابي يوسف يعقوب
ابن عبد الحق ايد الله سلطانهم واسعد عصرهم وزمانهم وهو الفانوس
الملقى بجبل الفتح افتتحه بعون الله وتاييده مولانا امير المسلمين ابو الحسن
ايده الله ونصره على يد ولده الامير الاسعد ابي مالك ايده الله ونصره
محاصر مرينية سجلماسة وكان افتتاح الجبل المذكور في يوم الاحد الخامس
لشهر شوال المبارك من عام ثلاثة وثلاثين وسبعماية والله يرده كذا
من موضعه وقاد الجامع المذكور في انما عمل الفانوس كما ذكر عمل له
هنالك قبة من الجص متقنة العمل علق بها منتصف شوال سنة سبع وثلاثين
وسبعماية

وسبعماية وكان الانفاق في ذلك كله سبعون دينارا من الذهب من مال الاحباس
على يد الناظر فيها احمد بن محمد بن الاشقر الصنهاجي وامـا
خزانة الكتب التي بيد قيم الفهارس على الموضع الذي بالجامع فانها كان معلمها
تعيين مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله حب العلم وايثاره والتعظيم والرغبة
في انتشاره والاعتناء باهله ومحليه والتودد لقرائه ومنتحليه امر بصنع
هذه الخزانة واسح طلبة العلم بان اخرج لها من الكتب المحتوية على انواع
من علوم الاديان والابدان والاذهان واللسان وغير ذلك من العلوم على
اختلافها وشتى ضروبها واصنافها وتفرقها ابتغاء الزلفى ورجاء ثواب
الله الاوفى وعين لها قيما لضبطها ومناولة عافيها واجرى له على ذلك جراية
وافية مكرمة وعناية وذلك في جمادى الاولى سنة خمسين وسبعماية
وامـا خزانة المصاحف التي جعلها مولانا المتوكل ابو عنان رحمه الله
في قبلة صدر هذا الجامع فانه صنعها لما سهله على الناس من تلاوة القران
في الموقف الذي من الازمان جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط البينة
الجلية السنية واباحها لمن اراد القراءة فيها بعد ان كتب على كل جزء منها بخط
يده وثبت فيها عدد الاعوام والليالي والايام وعين لها من يتفقد باخراجها
من هذه الخزانة واحرازها وردها اليها تثبتها في موضعها وذلك عند الفراغ
من حاجات الناس فلا يتحول ذلك ولا يتغير الى ان يرث الله الارض ومن عليها
واجرى جراية واسعة كرامة ورعاية وتم عملها في شهر شوال سنة خمس
وسبعماية وامـا زاوية القرآء البهية الغراء التي امر بها مولانا
المستعين عن يسار قبلة هذا الجامع الساطعة بالخير الجامع المتشاكلة
الاوضاع الواقع على حسنها الاجماع التي لم يسبقه اليها احد من ائمة هذه
الاصقاع فانه اقامها على بانك وجعل تقبيلها وجوفيها من صناعة
الخرط والنقاشين والتزيين بالاصبغة ما يبتهج به الناظر والسالك ورتب
فيها قراء يقرءون القران ويختمونه في كل سبعة ايام بطول الازمان واجرى لهم
جراية في كل شهر يتفقدونها ويرتبون لذلك بسببها وتم عملها في اواخر
شهر رمضان سنة اثنين وستين وسبعماية والله يجعل ذلك في ميزانه
ويضاعف له الحسنات في ديوانه ولهذا الجامع من الابواب بين صغار وكبار
ثمانية عشر بابا منها في الجانب الغربي باب مجلس القضاة للخصوم
الجنائز وباب الصغير المعروف بباب الشماعين وباب الاولى
سمي بذلك لكثرة ما يدخله من العباد وباب الكتبيين وباب الشماعين الاكبر

وسبعة وستة عشر شبرا وارتفاعه اربعة وعشرون شبرا وباب الموثقين
المقابل للثريبعة العراقيين وارتفاعه مثل الذي قبله وفي الجانب الجوفي
باب الحفاة المقابل لدار الوضوء القديمة وباب الصغير المعروف بباب الكتبيين
سمي بذلك لملازمتهم للقعود بسقيفته حيث يسالون الناس وباب
بيت النساء الاصغر الذي يخرج منه الى الصحن وباب الخصة المقابل للباب من سقاية
الرخام والموضع الذي بسقف البلاط الفاصل بين الجامع ودار
الامامة وفي الجانب الشرقي الباب المقابل لطالعة لفندق ابن حيون ويعرف
بباب ابن عمر سمي باسم النجار الذي صنعه وهو المحدث في ايام ابي محمد بن عسكر
والباب المقابل لدرب ابن حيون والباب المقابل لدار الخصة التي في اتصال
والباب المدرج المقابل لدرب السبع لوثيات ويتصل بزاوية الغرابلي احدثها
مولانا المستعين وفي الجانب القبلي باب المدرج المحدث على يد على الجزولي
المغلق الآن والباب الاصغر الذي يدخل منه الى رابطة ابن الغرديس المعروفة
هناك لم يدخل مستترا اليه عن اعين الناس كدخول الملك للخصومات
والاحكام وتعاطيها وغير ذلك مجلس القضاء والصحن الصغير
والزاوية التي هناك بمقدم القبلة بابان فاصلان لذلك وبين مقدم الصحن
والزاوية المذكورين وقبلة وخمسة ابواب الباب الذي يدخل منه الخليفة
لشهود صلاة الجمعة عن يسار المحراب وباب بموضع المنبر وثلاثة منها
لها اغلاق عند فتحها من العمل الجيد والصناعة الغريبة والباب الاول من
هذه الثلاثة القريب من المنبر منه يخرج الخطيب للجمعة ومنه يتوجه للصلاة
على الجنائز وهو مقام المعلم بالجنائز التي تكون هناك وعدد سواريه الحاملة
لسقفه ثلاثمائة سارية منها عشر من جهة حلوان غربي الخلفة المشتركين
جملتها اثنان وثلاثون وسائرها يدار عليها وجه الاتقان الغريب
في احوال هذه السواري الثلاثة منهن عن يمين الواقف مستقبلا تحت الثريا
الكبرى يبصر من دار بها جميع ابواب الجامع التي بداخله وطوله من شرق الى
غرب ثلاثمائة شبر وثمانون شبرا ومن مقدم القبلة الى الجوف ثلاثمائة
شبر بعد تابيس المقدم المذكور واضافته له وعدد بلاطاته احد
وعشرون من شرق الى غرب وسبعة عشر من مقدم الجامع الى جوفيه على ان
يكون في مقدمه بسائطه بلاط واحد ويندرج فيه الصحن الاكبر الذي طوله
من شرق الى غرب مائة شبر وثلاثة وتسعون شبرا وعرضه من قبلة الى جوف
خمسة وسبعون شبرا وبلاطاته المسقفة احد عشر بلاطا
ومساحة جميع بلاطاته حواجبه وثلاثة ارباع المرجع المسلحا ستة وعلاده
من المصلين اثنا عشر الف شخص على ان يكون في البلاط سبعمائة وخمسة
وستون شخصا ويكون ناقصه اربعة عشر صفا وفي الصف مائة وستون شخصا

وفي البلاطات

وفي اوساط البلاطات مائة وخمسة وعشرون شخصا بعد حط موضع السواري
وعدد الثريات التي تسرج فيها المصابيح مائة وثلاثون ثريا جميعها
من النحاس مختلفة الصناعات والاشكال والجهات منها عشرة كبار
معلقة في البلاط الاوسط ويندرج في هذه العشرة الثريا الكبرى المكفتة
بالنحاس وباقي الثريات وذلك مائة وعشرون معلقة في سائره وتحوز الى
نحاس مراكز السرج العادي يوقد بعضها في سائر ليالي السنة ويكثر
منها في ليالي رمضان ويوقد جميعها في ليلة السابع والعشرين منه
وعدد صحيفات الزجاج التي توقد ايضا فيه بطول ليالي السنة سبعون
شخصا العراقيات منها خمسون وسائرها تابليات وبلديات وعلى
من خارجه مدار في مواضع معروفة اربعين سراجا يستضيء بها
المارون في طرقه وقد اعد لحزرته ذلك كله على الكمال كما جعله يحكم ذلك واجرى له جرايه
من فوائد احباسه وينبغي ان تكثر سرجه وتتغالظ فتائله اذ اكثر حال
كان الاضاءة بها للمتهجدين وتعيينا لمكان الريب وهو ارابه
للسابلة وتقربا لبيوت الله عز وجل من وحشة الظلم ومبلغ غلات
دوقانه على اختلافها في بعض الاعوام عشرة الاف دينار فضية ومن
جملتها الفندق الكبير الشهير الذي بسوق الشماعين المحبس عليه
من قبل امير المسلمين مولانا ابي يعقوب رحمه الله وسبب تحبيسه انه
كان من جملة المستخلص لجانب الخلافة وخرب واهمل فلما كان في ايام
ولاية ابي عبد الله المجدوري تنافس امره القاضي اذ ذاك بها الفقيه
ابو عبد الله محمد بن ابي الصقر ببنائه واصلاحه متوقعا في ذكره اراد
ان يكون باذن من الخليفة فاستشهد به ابو عبد الله محمد بن ابي الصقر
المذكور على نفسه شهودا انه ان لم يوقف لذلك المحاسبة والاخصص الملتزم
لما انفق فيه فبناه المجدوري على ما هو الآن عليه تحت نظر القاضي ابي
عبد الله المذكور ثم اعلم بذلك الخليفة ابو يعقوب رحمه الله فبعث الى
المجدوري في ذلك فاعتذر له وبين له ما التزم له ابو عبد الله بن ابي الصقر
فاغتاظ لذلك الخليفة وامر باشخاصه وبعث اليه الحشم قوما بعد قوم
وخيف من ذلك عليه فلما بلغ الحشم لاشخاصه صار يستاني في
الطلوع للخليفة والحشم يترددون عليه ثم انه طلع ومر في اثنا ذلك
على الزاوية التي دفن بها الامام الحافظ ابو بكر بن العربي رضي الله عنه
واذا بفقير خارج منها ومر بي فطلب ابا عبد الله بن ابي الصقر يقول
له قل يخفي لطفك بلطيف صنعك يجمل سترك ادخلني في كنفك تشفعت

بين يديك فحفظ ذلك ودخل على الخليفة وهو يكرر هذه الالفاظ فاقعده بازائه
واظهر له الاكرام والاعتناء به ثم سأله عن سبب امره المعهود من بيعاته للخنوق
فقال له امرتي بذلك فانه غلب على ظني انك تحبسه على جامع القرويين فاستحسن
ذلك منه وشكره واستعمله في الحين بحبسه كما كان يذكر النقل عن ابي
عبد الله بن ابي زرع وغيره وصارت هذه الالفاظ التي تروا بها وكان
تحبيس الخنوق بسببها عند الناس [illegible]
بها في حوايجهم ويطيرون بحبها الكثير من الناس في مطالبهم ويذكر ان الرجل
الذي انتهاها اليه هو الخضر عليه السلام وعلى هذا المودنين في
غالب الاوقات اربعون شخصا ولهم على ذلك فوايد وعوايد مختلفة
واما قراءة الحزب من القران فيه بعد صلاة الصبح والمغرب
على
فانه كان امر به يوسف بن عبد المؤمن بن علي في ساير بلاده كما نقله ابن صاحب
الصلاة وانتسب لذلك ناس واستمر الى ايالة مولانا امير المسلمين ابي
الحسن رحمه الله فاجرى جراية لعشرة من القراء انتقى لقراءته في ساير جوامع
بلاده وامـــا قراءة الكتب فيه لاسماع الناس بعد الفراغ من قراءة
حزب الصبح فان بعض ايمة الجامع في ايالة بني مرين اعزهم الله تعالى
كان كثيرا ما يقرا ابن بين يديه في اول النهار تفسير القران للثعالبي وحلية الاوليا
لابي نعيم وذكر في جملة حمه وكان له قارئ حسن مجيد لذلك تحضره بعض الناس
وكان اكثرهم يجلسون ناحية حتى يقيموا حلقا حلقا وربما ياخذون في امور الدنيا
الى ان يطلع النهار فينصرفون واشار هذا الامام على القارئ ان
يتصدر قرب المحراب في الوقت المذكور ويقرا هنالك لاس
هذه الكتب للاسماع فاجتمع اليه ساير من كان يجلس به وانتفع الناس
بذلك كثيرا وربما يجتمع في المجلس الآن من الناس في سنة احدى وخمسين وذلك عام
وستماية واعلم بذلك اذ ذاك من كان من الخلفا فاستحسنه واجرى للقارئ
لذلك جراية ثم بعد ذلك زيد في قراءة الكتب قراءة الاحياء لابي حامد الغزالي
وفي ايالة مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله امر بزيادة كتاب الشفا
للقاضي ابي الفضل عياض فاستمر العمل على ذلك الى الآن و
جرى فيه انتصاب قبلته فيما حكي ان امير المسلمين ابا يوسف بن عبد الحق رحمه
الله لما امر ببنا المدرسة اليعقوبية التي بقبلته على يد قاضيه ابي امية
الدلاي سنة خمس وسبعين وستماية وكان الذي انظر ونصب قبلتها المعدل
ابو عبد الله محمد بن الحباك ولم يشاركه في ذلك غيره من اهل علم الهيئة وظهر
انها

انها منحرفة عن قبلة جامع القرويين انهى الامر في ذلك لمولانا امير
المسلمين ابي يوسف وقال بعض من حضره ممن لا يحسن السداد الجواب
في ذلك ان في بعضها جنوحا عن الانحراف بعضها عن بعض فوايد رحمه الله
ان جميع فقهاء زمانه ينظرون في ذلك فيحكى انهم قالوا له ان جامع القرويين
قد نصبت قبلته على سمت القبلة التي نصبها الامام الصالح ولي الله ادريس
ابن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وهو على ذلك غير منحرف وقد صلى اليها جماعة من العلماء والصلحا
والقضاة وايمة العدل ممن يقتدى باقوالهم وافعالهم فلا ينبغي لاحد
ان يظن بهم الاختلال بغير دليل ولا حرفوه وما يظهر في بعضها من انحراف
بعض فقد يتغاير بامر الصواب على رايه من يرى ان المطلوب من
قبلة مغربنا بل من قبلة ساير الآفاق انما هو الجهة مكة شرفها الله تعالى
والجهة في ذلك حاصلة وهذا القول هو الراجح والافضلين يتعذر على تعيين السمت
اعني سمت البيت الكريم غاية ما عند الناس في الاقاليم الغايبة عن مكة شرفها
الله المحافظة على جهة البيت لا سمته واجتنابا والاكثر اقرب الى الصواب
والابعد من الخطا وقد يعد مخالفة الاكثر الشنآن بين المومنين والاخلال
في صلاة المصلين فاقر ذلك كله على حاله رحمه الله وقد سلم هذا الجامع
من البدع الشنيعة ولم يتعرض فيه كما تعرض في بعض جوامع الآفاق ومما
ظهرت فيه بدعة فانه يحكى انه بلغهم من يدخلها فيه ليلا وجرى في اول
التاسع والاربعين وستماية ان بعض المجودين لقراءة القران فيه كان
يقعد بين يديه الاحداث من الصبيان لتجويد القران فيجتمع اليه الى
ان حدثت فتن بسبب ذلك فرفع ذلك للشيخ الصالح الفقيه المدرس ابي
فارس عبد العزيز بن محمد القروي رحمه الله فاشار على بعض من له حكم ناخذ
ان يستعد في تغيير ذلك ويمنع كل الشيخ منهم ويفرق جميعهم واحسبه لما
علم ان هذا الصبي القاري بين يدي هذا الشخص ليس ممن يقصد التعليم
وليس جلوسه لجلوس المعلمين امر باقامته علا على ما في المدونة وغيرها
من اقامة المقري يجلس في المسجد يوم الخميس وغيره لقراءة القران وتعلم اذ
ذاك الشيخ الاستاذ المقري ابو الحسن بن سبعين رحمه الله قصيدة وقف
عنها الشيخ ابي فارس المذكور فكانت في استقراره على قيام هذا القاري والقرى
وما هو

الا خففوا عن هجا الا هو الجسد
اقروا احتسابا بالبلى حتى تقصدا
دور العلم في الاقرا اخذا تصفحا تهم
رأيا وعجب وانتصاب وكثرة
الم تر قاس الغرب اعظم قدرها
لفعل عبادات تسوغ ومعطن
بدت بدع فيها ولا منكر لها
تبرز للاقرا فيها جاعـة
ومالهم فهم يميز ما حوت
سوى نغم يبدو
فبعضهم في جملة وجنسها
ويقرئ تلميذا لذلك خصه
وعن مثل هذا اخذ الحد ما لكم
وبعض بلا حيد له احسن صورة
لها قراص تحل قد مليك بسمعها
فيتبعه اما ملاحق جنسه
يخطه بالقرب منه مكانه
ويعقبه جزا من الوعظ امعا
يردده في الجهل باملي
وجل كتاب الله عن حالة الغنا
وهذا لعمر الله اكبر بدعة
لفاعلها ذم وتغليظ زاجر
وينصب بالقرآن للدنيا اوكلا
وما هذه آثار قوم تقدموا
فقد عرفوا عند الثنا بصومهم
ويتلونه والدمع قرح جفنهم

لمنهج اهل الحق يسعد الحد قد
على احد من نقضه العقد
ولم يبق منها غير ما رسم يعبد
وتسميع من يرجى لتسميعه رشد
وجاحدها العظمى التي هي تعتقد
لجمع رجال الله يا تونسها وقد
وابوابها ان فتحت فلها السد
ولا خيرة تبدو لديهم ولا بعد
طريقة اهل الضبط حفظ ولا عقد
وتطريب الحانا لمن راح او يغدو
بجمع حفلا ليس يحصره الحد
لدى كل اسبوع بمعلمه الحمد
وقال لمن يجويه في المسجد الطرد
شبابه صوت قتيل الهوى حمد
فباطنها حتف وظاهرها شهد
واما احاها بارز اللورى يشدو
وذلك عند الله جل اسمه بعد
به صوته كيما القلوب له تغدو
برفع وخفض هكذا الصدر والورد
وتطريب اصوات بها يقع الوجد
يقابلها المنع المصرح والرد
وايضا وعيد في القيامة لا وعد
يوم الى التحريم فاعلمه وعد
من اهل كتاب الله افناهم الجهد
وفي ليلهم ايضا
جوارية تنساب قابلها الجد

مضت

مضت بهم الاعصار يبكي لفقدهم
خيار الخلق منهم الفقد
ومحض سلوك الاخيار اكرم بعقدهم
وليس لهم يتعد بروا
جميع علوم الخلق منه تفرعت
اوامره والنهي قد اوضحت به
وقد حرمت فيه الفواحش كلها
وقد جا بالاخلاص فيه او امر
فمن اذها احكامه مستعتبا
ذو صحبة الاحداث اليسر يختفي
مخالطهم في دينه ليس يرتدي
وقد جاء في بعض الاحاديث انهم
ولا يصلح الصبيان الا لمكتب
فعمرو بن يوحنا ومدرك عبرة
بما تعرب الاشعار اذا خذ سلوكها
فكم من جليل القدر قد حط قدره
فلا تجعلوا النصح فان نصحتكم
فمن كان ذا شيء بعلم يعض به
وقال الامام الشاطبي وحيدا
خذوا النظم عني وانظروا حسنه سره
ودني لاهل العلم والدين خادم
فهم عمدتي فالله ينفعني بهم
واما رعاع الناس من كل مدع
وليس على الاعمال منهم حلاوة
فهم مثل ما قالوا اكثرهم عندنا

واكثرهم قوم قد ابتدعوا لكم
معاني كتاب الله اذ منه يستمد
ولا حدود الله فيه كما حددوا
ولكن عمى الجهل عن ذاك تستمد
سوى الحظ والقرابة والطمع والحاسد
وذم رياء الناس فهو ابو المرد
فقد رام ابطال الشريعة تستمد
من الذم اذ في فعله عظيم الحد
ولو بعد حين او شياطينه جند
لهم فتنة تشبه العذار فلا جحد
وليس لهم في موطن غيره رشد
ببعد او اذ منها غدا المنع يشتد
طريقة حتى يفضيك اللحد
ورفعته لما تا لغير المرد
ونفسي قد اوصيتها ذاك لا اتعدى
باخلاص تقوى الله يتبعها الزهد
بابياتها التي تكفلها المجد
فلا يختشي من الحق عمرو ولا زيد
نعم واشهدوا انه لهم في الثنا حمد
وتشطيني الشكر من الله يا سعد
فليس له قبل لديه ولا بعد
مفتحة منها الصحا
ومن انتم حتى يكون لكم عقد

وهذا ما يشير المشار اليه في هذه الابيات وهو الذي انشأ
الرجز المزدوج المشهور في شأنه مع عمرو بن يوحنا النصراني لكونه

كان بعيدا واد ادركه في اثناء ذلك فقسمه تخوف باعد من الضلال بعدما الهدى وهو

من عاشق نازح بعيد دار | ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان | معذب بالصد والهجران
من غير ذنب كسبت يداه | كانما

يا ويحه من عاشق ما يلقا | هذا دمع منهلة ما خرقا
ناطقة وما حارت نطقا | فخبر عن حبه له وسترقا
لم يبق منه غير طرف يبكي | با دمع مثل نظام السلك
تطفي نيران الهوى تذكي | كانها قطر سحاب تحكي

اليك اشكو بني النصارى | هذا رخوده سبا العذارى
وغادر الاسقف به حيارى | لم يرعه الحب له اسارى
رام بدار الروم رام قتلي | محلة خلاء لا من تحلي
وطرته بها استطار عقلي | وحسن وجه وقبيح فعل
ما ابصر الناس جميعا بدرا | ولا راوا الشمس وغصنا نضرا
من عمر عمرا | ظبي بعينه سحائب خمرا

ما انا بعقده مفقود | والدمع في خده له مخدود
ما ضر من هجري لو موجود | ولم يغنج فعل الصدود
ان كان ديني عند الاسلام | حقيق ان تخفضه الايام
واحتملت الصلاة والصيام | وجارتي الدين لنا الكرام
يا ليتني كنت له صليبا | اكون منه ابدا قريبا
ابصر حسنا واشم طيبا | لا واشيا اخشى ولا رقيبا
يا ليتني كنت له قربانا | التم منه الثغر والجثمانا
او جاثليقا كنت او مطرانا | كيما يرى الطاعة لي اعلانا
يا ليتني كنت لعمر مصحفا | يقرا مني كل يوم احرفا
او قلما يكتب بي ما الفا | من ادب مستحسن ما صنفا
يا ليتني كنت لعمر عوده | او جبة يلبسها مقدوده
او بركة من اسمها ماخوذه | او بيعة في داره مشهوده
يا ليتني كنت له زنارا | يدير في الخصر حيث دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا | صرت له حينئذ ازارا
قد والذي يبقيه لي افناني | واختل عقلي والصبا كساني

ظبي

ظبي على البعاد والتداني | تلك محل الروح من جثماني
والكبود من خده المدرج | واحرقني من ثغره المفلج
او شق خط الطرف منه الادعج | اذهب للنسك او التحرج
اليك اشكو يا غزال الانس | ما بي من الوحشة بعد الانس
يا من هلالي وجهه وشمسي | لا تقتل النفس بغير النفس
جرا لكما جرت بحسن الخود | وارعى لما ارعى قديم العهد
وامر الصد من طويل البعد | فليس واجد بذاك وجدي
ما انا الا جر الهوى غريق | سكران من حبك لا افيق
تعرق لي العدو والصديق | محترق ما مسني حريق
فليت شعري منك هل ترثي لي | من سقم بي وضنى طويل
ام هل الى وصلك من سبيل | لعاشق في جسد نحيل
في كل عضو منه سقم والم | ومقلة تبكي بدمع او بدم
شوقا الى بدر وغصن وصنم | هذه الله المشتكى اذا ظلم
اقول اذا قام يصلي وقعد | يا عمرو يا عمرو قلبي بالكمد
اقسم باسم سيف المجتهد | ان امر اسعده اذا سعد
يا عمرو ناشدتك بالمسيح | الا كففت القول في فصيح
يخبر عن قلب له جريح | باح بما يلقى من التبريح
يا عمرو بالحق من اللاهوت | والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي في مهده المنعوت | عرض بالنطق من السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم | حل محل الريق منه في الفم
ثم استقام في حشوم الاقدم | يعلم الناس وكما يعظم
بحق من بعد الممات قمصا | ثم علا مصعدا وما قمصا
وكان لله تقيا مخلصا | يشفي ويبري الكمها والبرصا
بحق يحيى صورة الطيور | وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور | يعلم ما في البر والبحور
بحق من في شامخ الصوامع | من ساجد لربه وراكع
يبكي اذا ما نام كل هاجع | خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الروسا | وعالجوا طول الحياة بوسا

وتقرعوا في البيعة الناقوسا   مشتغلين بعيدون عيسى
بحق ماره مرتكم وفولس   بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق جاثيل بحق يونسا   بحق حزقيل وبنيا المبرسا
وليتوا اذ قام يدعو ربه   مطهرا من كل سوء قلبه
ومستقيلا باقيل ذنبه   ونال منها ما احبه
بحق ما في قلة الميرون   من نافع الادوا واللجنون
بحق ما يوثر عن شمعون   من بركات الخوص والزيتون
بحق اعياد الصليب الازهر   وعيد اشمونا وعيد الفطر
وبالشعانين العظيم القدر   وعيد لوما الرفيع الذكر
وعيد سعيا والهياكل   والدخن التي يكف الخاطر
يشفي بها من كل خبل خابل   ومن دخيل السم في المفاصل
بحق سعيا من العباد   قاموا بدين الله في البلاد
فارشدوا الناس الى الرشاد   وهدي من لم يكن يهاد
بحق تسعة عشر من الامم   صاروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا اجلع الدجا على الظلم   صاروا الى الله وفازوا بالنعم
بحق ما في محكم الانجيل   من محكم التحريم والتحليل
وحرفه جليل   عن جليل
بحق من عبد الشفيق الصالح   بحق لوثاتي الفعال الفاتح
بحق جشليغا الحكيم الراجح   والشهداء بالفلا الفسايح
بحق معمودية الارواح   والمذبح المشهور في القواح
ومنا به من لابس   وعابد باك ومن نواح
بحق تعز تبكي الاجياد   وشربكم القهوة كاد
وصوم تبيضك الاكباد   بما يبيض من السواد
بحق ما تدرس سعيا فيه   بالحمد لله وبالتنزيه
بحق سطوار وما يرويه   من كل ما حكى له فقيه
شيئا فشيئا من شيوخ العلم   وبعض اركان التقى والحلم
لم يعطنا قط بغير فهم   من تهبا كان حياة الجسم
بحرمة الاسقف والبطرك   والجاثليق العلم الرباني
والقس والشماس والديران   والقس الاكبر والرهبان

بحرمة

بحرمة المحبوس في اعلى الجبل   ومخارلوجا حين صلى وابتهل
وبالكنيسة القديمة الاول   وبالسليخ المرتضى عما فعل
بحرمة الاشعث والمرم   وما حوى مقدار ابن مريم
بحرمة الصوم الكبير الاعظم   وحق كل بركة ومحرم
بحق يوم الذبح والاشراق   وليلة الميلاد والسياق
والذهب المذهب للمفارق   والفصح الاهل بلا اخلاق
فكل من قر على قراس   فوسم قس على الشماس
الاراة في ارض اديب   بامرة الكبش الحبيب
تدرب من شوق الاقرب   واقصى شاه اقصر التقريب
وانظر اجيدوفي صلاح الورى   محتسبا في عظيم الاجر
مكتسبا في جميل الشكر   ثم نثر الف ظاهر نظم شعر

ولولا ما التزمناه من شرط المعاني ناسدوا من السيئات لشرحنا ما قاله من المحن والآفات والله يعصمهم من الفتن والآلات بمنه وكرمه وطوله   وهذا الجامع قد يشكو بلسان حاله من بعض الازمان عند اهماله وذلك ان الذين اسسوه وزادوا فيه الزيادات ورتبوه وحبسوا له الاوقاف وعظموه وصنعوا السرف منها في غير وجه وحفروه انما فعلوا ذلك بنيات صالحة وعزمات ناجحة ولكل امرئ ما نوى فينبغي ان يسلك فيه طريق الاولين ويتبع فيه سبيل المؤمنين والقيام بالمساجد الان من اركان الدين وعلمها رتبتها ونظافتها فيها شرط في صلاة المصلين وهي من بيوت الله التي اذن الله ان ترفع وتطهرت للقائمين والعاكفين والركع واحوال الدنيا الدنية فيها ممنوع واعمال الدنيا متروك والاخروية مشروع والصلاة هي اول ما ينظر فيه من اعمال العبد فما التقرب الى الله بتقويم لهما والطهر والرد بردها فرحم الله عبدا ادى حقها وادى الامانة التي طوقها وضبط احوالها ونما مالها واخذه من حله بالطريق الشرعي بعد اجتهاده وصرفه في مواضعه بالنظر الديني ودرجه السداد فذلك يكون من رفع قدرها واستوجب من الله اجرها وعمل استصحبه باهمال الاعراض والاعتقاد شكلة اذ ذاك بلسان الحال اذ هو افصح من لسان المقال يروى ان مسجدا من المساجد ارتفع الى السماء شاكيا الى الله باهله بعملهم فيه واعمال الدنيا فاستقبلته الملائكة وقالوا بعثنا بهلاكهم حكى عماد

الامام الطرطوشي في كتاب النهي عن الحوادث والبدع الذين تولوا ايقافه وحملني
على سرد هذه الفصول التنبيه لمن ولي امرها من الغفلات وايقاظهم
من السيئات عسى الله ينفعني واياهم في الحياة وبعد الممات
واما بناء جامع الاندلسيين فان الذين اعتنوا بتاريخ فاس
ذكروا انه ابتدء بنيانه سنة خمس واربعين ومائتين على يد مريم بنت
محمد بن عبد الله الفهري بعد ان اشترت ارضه بوجه صحيح وانفقت
في ذلك كله من مالها الموروث من ابيها وسمي بذلك لان الامام ادريس
ابنه ادريس لما وفد عليه وفود من اهل جزيرة الاندلس انزلهم ا
بالعدوة الشرقية من فاس فسميت بذلك عدوة الاندلس فلما اسس
جامعها وكان ممن اعان على بنائه جلة من الاندلسيين الكنيف
هناك شيء بجامع الاندلسيين قال البكري في مسالكه انه كان من سقف
بلاطات وله صحن صغير فسيح به اصول جوز وغيره من الاشجار وساقية
غزيرة متفرعة بسقاية محمودة ثم يذكر ان احد عمال الناصر
الله المرواني حين تغلبوا على بعض بلاد المغرب زاد فيه زيادات ثم جعلها
الصومعة التي فيه وذلك في جمادى الاولى سنة خمس واربعين وثلاثمائة
حسبما كتب في خشبة بابها ونقلت الخطبة اليه من جامع الاشياخ على يد الامير
حامد بن حمدان الهمداني عامل عبيد الله الشيعي حين تغلب على فاس
سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وكان اول خطيب خطب به الفقيه الصالح
ابو الحسن بن محمد الصدفي فلم يزل الامر على ذلك الى ان زيدت فيه
الزيادة المشار اليها على يد احد عمال الناصر لدين الله ولم يزل كذلك
الى ان ابتنى الناصر الموحد سنة ستمائة اذ احتاج الى الاصلاح
والبناء فامر ببناء الباب الكبير الجوفي الذي به المدرج وسعة عشرون
شبرا وادراجه اربع عشرة درجة وباسفل ادراجه شباك من خشب
الارز فيه ثلاثة ابواب من الاوسط منها جعلة من الحجر الاحمر ينفجر لها الما
من عوارض صهريج الذي يمر باسفل هذا الباب الاكبر المذكور ليغسل الكفاة
اقدامهم وصنع باعلى هذا الباب قبتان احداهما من جص مقربسة من داخل
والثانية من خشب الارز من خارجه وكانت بها طلسم الخطاف فلا يدخله ولا يعشش
بها ولا يعشش فيها وتعطل في سنة عشرين وسبعمائة وامر امير المومنين
الناصر ببناء السقاية وجعل بيت صلاة النساء وعليها مقصورة لائمة الجامع
وذلك عن يمين الخارج من باب المدرج المذكور وبالقرب منها دار الوضوء
تحاكي التي بجامع القرويين وخصصها امر بعملها السيد ابو زكريا يحيى
خلفا الموحدين وانفق فيها من ماله ولم تزل الجامع كذلك الى ان اختلت
سقفه

سقفه وحيطانه وسواريه فامر خطيبه الشيخ الصالح ابو عبد الله محمد بن ابي
قاسم بن حسونة امام هذا الجامع لامير المسلمين ابي يعقوب رحمه الله
فامر باصلاحه على ما هو الآن عليه وذلك في سنة خمس وتسعين وستمائة وكان
الناصر الموحد قد جلب الماء من عين بخارج باب الحديد فاختل في مواضع وجلب
له الماء من وادي مصمودة الراية امير المسلمين ابي ثابت عامر فاحسن وجلب
الماء من العين التي بخارج باب الحديد وبناء السقاية بالجهة الغربية من
جوفيه وذلك سنة سبع وسبعمائة وعدد بلاطاته من شرق الى غرب خمسة عشرة
بلاطا بعد تحويل اخراقه بالماء ذي طوله على هذا من قبلة الى جوف حليا شبر
وفي عرضه كذلك ويكون في البلاط الواحد واسطة من اشخاص المصلين
ثلاثمائة شخص فعدد ما يملأه من المصلين على هذا الاربعة الاف شخص ومائتا
شخص وعدد سواريه مائة سارية واربع وثلاثون سارية
واما صومعته فسعة كل وجه منها ستة عشر شبرا وفيها من
الادراج اربع وسبعون درجة وارتفاعها سبعون شبرا فيما ذكروا
وفي اعلى هذه الصومعة قبة لجلوس المؤذنين لتداول الاذان وعدد
المؤذنين والمؤقتة في هذا الجامع عشرون شخصا ولهم عوايد وفوايد
معلومة عندهم وقد علق في اعلى هذه الصومعة صار من خشب ينشر فيه
علم ابيض في اوقات صلاة النهار وفنار مسرج في اوقات الليل من اول
ايالة مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله والمؤذنون بهذه الصومعة
يقتدون في اذانهم باذان اهل جامع القرويين على العادة القديمة المتداولة
الى الآن وعدد ثرياته الكبار والصغار احد عشر ثريا الكبار منها
خمس قد علقن بالبلاط الاوسط منه وبقيتهن في سائر الجامع في مواضع
معلومة منه وفيه من الصمعجات العراقية خمس بقرب محرابه وثلاثون
بسائره وفي فرش صحنه من الاجر من شرق الى غرب مائة صف
واثنان وثلاثون صفا في كل صف مائتا آجرة وعشرون آجرة فيجمع
في تكسيره تسع وعشرون الف آجرة واربع وتسعون آجرة ولهذا
الجامع من الابواب تسعة منها الى الجانب الغربي ثلاثة ومن الجوف باب
المدرج المذكور ومن الجانب الشرقي خمسة منها اثنان يدخل منها لمقدم
الجامع الاول يصلى فيه على الجنائز ومن مقدم الجامع حيث الاعظم بابان
مدرجان احدهما عن يسار المحراب لدخول الخلفاء ومنها ارادوا شهود
صلاة الجمعة والثاني عن يمين المحراب والمنبر ومنه يخرج الخطيب يوم الجمعة
للخطبة ومنه يتوجه للصلاة على الجنائز وكان جملة من الفقهاء يكرهون العلم

وهو واضح من هذا وكانوا اهل شورى ممن يقتدى بهم يقصدهم الناس من اقطار
البلاد فمن مجرد لتلاوة القرآن ومن مدرس ومن طالب لما شاء من فنون
العلم وفي مجالس شتى منه وكان اربعة حلق من الحلق وأبعا وليلة موته قد
تفرغوا للعبادة بعد تحصيل العلم ويقصدهم الناس للفتاوى وطلب العلم
والادب والتماس الدعاء ممن المتقدمين الملازمين لهذا الجامع الفقيه الصالح
الولي الورع جبر الله بن القاسم الاندلسي نزيل عدوة الاندلس من
فاس وهو ممن ادخل علم مالك اليها وهو من مشاهير فقهائها
لقي اصبغ بن الفرج وسمع منه كذا قال صاحب المدارك حدث عنه ان
رجلا رأى في النوم قائلا يقول له ان شئت ان ترى نظير معاذ بن جبل فصل
في الجانب الغربي من جامع الاندلس فالرجل الذي يدخل عليه برنس وصفته
كذا وكذا هو ذاك ففعل الرجل ذلك فاذا بجبر الله بن القاسم على الصفة التي
ذكر له القائل في النوم وهو رضي الله عنه ممن لحق دراس بن اسماعيل رضي الله
عنه ويذكر ان دراسا لما قدم بكتاب محمد بن المواز قال له جبر الله بن القاسم
ما الذي جئت به فاخبره على الكتاب المذكور فقال له اذكر منه فجعل دراس
يذكر المسائل وجعل جبر الله يجيبه بما حفظ وما لم يحفظ قاس على اصول
اصحاب مالك فما خالف كتاب محمد بن المواز الا في مسالة الثور اذا اشتراه
انسان فوق دوان الدراس ولم يشترط انه دراس فوجده لا يدرس فهل
هو عيب يرد به ام لا كذا القي بخط الفقيه ابي عبد الله محمد بن القاضي
الاعدل ابي العباس احمد بن المجوري الفشتالي وممن
كان يلتزم هذا الجامع وولي القضا بعدوة الاندلس الفقيه الصالح العاقل
الاعدل الورع ابو محمد عبد الله بن محمد بن محسود الهواري تقدم ترجمته
بشا وربه ونزل في جهة بني مسافر من عدوة فاس الاندلس وكان عدلا
في احكامه ورعا لا تأخذه في الله لومة لائم رحل الى القيروان ولقي به
الحافظ الفقيه ابا محمد بن ابي زيد رحمه الله وشاهد تاليفه للنوادر
وكان عنده من رجال المدونة وكان رحمه الله اخرج زيادات مختصر ابن
ابي زيد على المدونة ثم ولي القضا بفاس لما ذكر وكان رضي الله عنه رجلا
متقللا من الدنيا مجتهدا في الاحكام واقام الحدود كلها قتل وصلب
وقطع الايدي واقام اللعان ولما توفي رحمه الله طلب في فاس من يعاطه
في شيء فلم يوجد له ما طل فبحث عن سكنه وزريبة من اين يشتري فوجد
له صاحب

صاحب بكناسة الزيتون يشتري له الزيت ويبعثه اليه وكان له
بقرتان وبايتد قوته من هوارة وزوجته تغزل له كسوته من اشياب
القطنية حدث عنه انه نزل به ضيف وهو قاضي ولم يكن عنده في ذلك
الوقت ما يقيم به ضيافة ضيفه فاعطته زوجته شيا من غزلها فاعطاه
لبقال كان يخبره منه زمنا في شيء من سمن فاعطاه سمنا حارا لم يقدروا
على الكلم فلما كان بعد ايام وهو قاعد في موضع احكامه وصل اليه ذلك
البقال مع رجل آخر يطلبه بشيء له قبله فلما رآه القاضي قام من مجلسه
وقال لبعض جلسائه احكم بين هولاء فاني اقوم الى شغل فحكم ذلك الرجل
بينهما وانصرفا فلما رجع القاضي الى موضعه اعلمهم ان ذلك البقال
فعل معه كذا وكذا وقص عليه امر السمن وخشيت الان ان يجلس بين
يدي للحكومة ان تميل نفسي عنه او لا اسمع منه كما اسمع من خصمه
فتركت القضا بينهما لاجل ذلك توفي رضي الله عنه سنة احدى واربعمائة
وقبره شهير بباب الجيسة عليه والدعا عليه مستجاب ينفع
الله به وممن الشيخ الفقيه ابو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف
ابن النحوي رحمه الله ونفع به من اهل العلم والزهد والجد والاجتهاد
وكان رضي الله عنه مجاب الدعوة وحدث عنه انه لما دخل الروم مدينة
صقلية خرج منها من كان من اهل الاسلام وخرج منها رجل شيخا اعيا منها
وكان معه سواخلها حصل ببلاد الاسلام حتى نام ليلة فرأى النبي صلى الله
عليه وسلم في المنام فقال له يا رسول الله ابتليت بالجلاء عن بلادي وعمى حالي
ثم فقدت بصري قال فاجرى النبي صلى الله عليه وسلم يده على وجهه فابصر
الرجل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اقرا السلام مني على اخي عيسى فاستيقظ
الرجل وقد رجع اليه بصره وكان يرى انه يدرك مدة عيسى عليه السلام
ثم توفي الرجل بعد ذلك فاخبر الفقيه ابن النحوي بخبر الرجل فقال رحمه الله
ما اراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله للرجل اقرا السلام مني على اخي عيسى يدرك
زمانه وانما اراد عيسى عليه السلام كان يبوح في السقطة وانا ابراهيم
في المنام وحكى عن الشيخ الصالح ابي الحسن علي بن حرزهم
رحمه الله انه قال لي والدي رحمه الله امش للفقيه ابن النحوي واسأله
في الدعا فانه رجل صالح فاتيت المسجد الذي كان يصلي فيه فوجدته فيه
وذلك عند صلاة المغرب فسلمت عليه فقال لي ابن من انت فقلت له

ابن اسمعيل بن حرزهم فو عمريكي ثم اقيمت الصلاة فدخل المحراب لسكنه فرايت
الشرب الازرق على منكبيه لم تقو لما غلب عليه من الهيبة والخوف ومنهم
الشيخ الصالح ابو عبد الله بن احمد بن دمشق كان رحمه الله ممن ينتفع به مشهورا
بالخير والعفاف وكان اماما بجامع الاندلس شرفه الله بالذكر فيه من مدينة
فاس خرج الى الحج وجاهد في سبيل الله حكى عنه رضي الله عنه ان الوالي رجع اليه
ان يتولى خطة مدينة فاس عدوة الاندلس فامتنع كل الامتناع ولم يقدر
عليه في الاحالة لما اراد بعضهم فامر بسجنه وتكبيله وان يكون سجنه في داره
فبقي على تلك الحال مدة فلما كان في يوم جمعة امر مملوكا له يسمى سليمان
ان يقرب له ماء يتوضا به للصلاة فلما اخذ في الوضوء انحل الكبل من
رجليه من غير واسطة كرامة له نفع الله به وقصدنا بهذه الحكايات
ومثالها البركة في نشر احوالهم ورجاء ان تنزل الرحمة عند ذكرهم وذكر
امثالهم قال سفين بن عيينة رضي الله عنه عند ذكر الصالحين
تنزل الرحمة وقال بعض المشايخ الحكايات
جند من جنود الله تعالى يثبت بها قلوب اوليائه قوله وشاهده قوله
تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وقال علماء
ابن جبير سمعت محمد بن يونس يقول ما رايت انفع للقلب من ذكر
الصالحين وقال سفيان للفضيل بن عياض في كلام جرى بينهما ان لم
تكونوا صالحين فانا نحب الصالحين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء
مع من احب ولله در القايل

احب الصالحين ولست منهم وارجو ان انال بهم شفاعه
واكره من بضاعته المعاصي وان كنا سواء في البضاعه

وهنا انتهى الكلام القول فيما قيدته واختصرته والله سبحانه ينفع
به نويته وقصدته مع اني لست من اهل التاليف ولا من اهل المعرفة
بالتصنيف فمن نظر فيه فالتمس من عليه في تعلمه من باس واثلث

لعمر ابيك ما نسب المعلى الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعي الهشيم

فمن وجد خطأ فليصلح او زللا فليسمح فالعصمة من الخطا متعذره
واوقات العمر غير مستحضرة والامر كله لله ولا حول ولا قوة الا
بالله وحسبنا الله وكفى وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وعلى اله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا اثيرا كمل على يد المفتقر محمد الله عونه وحسن توفيقه
نفع الله به من قراه ودعا لمن نسخه

٧٧

كتاب تحفة الالباب
لابي عبد الله محمد بن محمد الحسني
ابن سليمان ...
القيسي ...
رحمه
الله